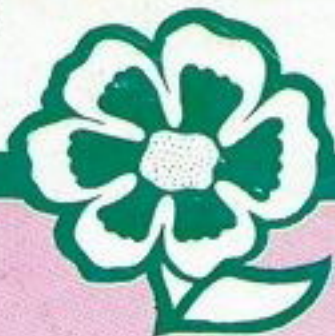


قلوب عبيد الجديدة



ليليان هول

أمواج من نار



www.elromancia.com

مرمورية

قلوب عبير الجديدة

هل نحقق "سارة" .. حلم حياتها ؟

- هناك ... في مكان ما بين المكسيك وكوبا ... ترقد آثار حضارة مجهولة عمرها أكثر من ألفي عام ، هناك كنوز مختبئة يحتفظ بها المحيط وكأنه يشعر بالغيرة عليها : وهذا هو الحلم المستحيل لكل عالم آثار شاب .
- مستحيل ، حقا ؟ ولكن إذا كان هناك عالم أكثر جنونا من "سارة" نفسها ينوي قبول هذا التحدي .. فيا ترى .. هل يكون "جوننا ثان هيلي" هو ذاك الرجل ؟ !

مقدمة

في هذه القصة الممتعة يجتمع الجمال والشباب والمال والعلم ، لتكوين سيمفونية رائعة من العواطف والأحاسيس المتباينة ، والصراعات التي تزيد الحب اشتعالاً .

هذه قصة عالمة آثار ، شابة حسناء أرملة لعالم في نفس المجال .. كانت طالبة تحت إشرافه وكان قد نال جائزة " نوبل " للعلوم ، وطبقت شهرته الأفاق ثم لقي حتفه في حادث سيارة فجأة .

وقد أدت وفاته إلى وقف مشروع حفائر تحت المحيط بحثاً عن مدينة مفقودة . صارعت الأرملة الشابة صراعاً جباراً كي تستمر في إدارة المشروع . وقد أدى هذا الصراع إلى وقوعها في غرام رجل المال المسؤول عن المؤسسة التي تمول المشروع .

سيرى القارئ العزيز ، مواقف عاطفية ، ومغامرات فوق الماء ، وتحتة ، وفي جزر نائية تجعله يلهث وراء الأحداث حتى يصل إلى معرفة النهاية

هناك .. في مكان ما .. بين " المكسيك " و " كوبا " ، كانت ترقد بقايا حضارة مجهولة ترجع إلى أكثر من ألفي عام مضت .

ستجد كنوزاً مدفونة ، يحميها المحيط ويغار عليها
كان ذلك حلم عالمة آثار شابة

هل كان تحقيق ذلك الحلم أمراً مستحيلاً .. ؟
من ، غير " سارة " - تلك المجنونة بحب العلم - يستطيع أن يقبل هذا التحدي ؟
وهل يمكن أن يكون " جوناثان هيلي " ذلك الرجل ؟

شخصيات الرواية

- ١- "هومير الفاريدو" .. عالم في آثار ما تحت البحار ، حائز على جائزة "نوبل" في العلوم . توفي في حادث سيارة ، قبل أن يكمل مشروعاً مثيراً للكشف عن مدينة مجهولة في أعماق المحيط الأطلنطي .
- ٢- "سارة بايرز" ... عالمة آثار تحت البحار ، مساعدة "هومير الفاريدو" وأرملته . شابة حسناء ، لديها طموح إلى تكملة مشروع زوجها .
- ٣- "جوناثان هيلي" ... رجل أعمال مشهور بمدينة "نيويورك" رئيس مؤسسة "هيلي" المالية الممولة للمشروع . شاب وسيم ، ورياضي ، وسبق له الزواج ، لكن زواجه لم يستمر .
- ٤- "روسيل هيلي" ابن عم جوناثان "رجل أعمال ناجح ، يمتلك سلسلة فنادق ومنتجات يرتادها كبار الأثرياء ورجال الأعمال ، ومن بينها جزيرة "النمر" التي تجري فوقها معظم أحداث قصتنا .
- ٥- "جيل فيرجسون" .. مساعدة "سارة" ، والمسؤولة عن معمل أبحاث البعثة العلمية ، متزوجة من عالم آثار يعمل بالصين .

الفصل الأول

عندما فتحت سارة الخطاب تلقت صدمة .. كانت بالتأكيد تنتظر هذه المفاجأة ، ولكن ليس بهذه السرعة .

مر شهران كي تتمالك نفسها وتستعيد سيطرتها على حياتها ، واعتقدت أنه سيتاح لها الوقت كي تسترد أنفاسها .

وضعت الورقة فوق المكتب وهي تتنهد، كانت بلون العاج ، وقد علاها شعار "مؤسسة هيلي" وعنوانها : الحي الخامس بنيويورك .

كما اشتملت على قائمة بأسماء أعضاء مجلس الإدارة وتوقعاتهم التي تدل على أنها مؤسسة مرموقة ، وكان نص الخطاب :

الدكتورة سارة بايرز

قسم الآثار

جامعة جورهام

٢٨١٠ بورتسموث - نيوهامبشاير

عزيزتي الدكتورة بايرز

اسمحي لي أن أقدم عزائي الخالص لوفاة زوجك العزيز .

لقد كانت الحادثة التي حرمتنا من الأستاذ "الفاريدو" حادثة مفاجئة .

ولم يفقده زملاؤه علماء الآثار فحسب ، وإنما أيضاً كل المهتمين بعلوم أعماق البحار الذين كان يلهمهم بشجاعته وذكائه إلى حد يصعب تصوره .

وكما لا يخفى عليك ، فإن الأموال المخصصة لاستكشاف خليج المكسيك للعام القادم كانت مخصصة مباشرة للأستاذ "الفاريدو" فقد أصبح لزاماً علينا أن

نسحبها ، حيث كان وجوده ضرورياً لهذا المشروع .. وإذا ما واثقتنا أخبار مهمة أو ظروف جديدة حول مشروعك الجديد ، فسنكون بالتالي على استعداد لإعادة

النظر في قرارنا .

وقد خصصت لك المؤسسة مبلغ خمسة عشر ألف دولار أمريكي ، حتى يمكنك الاستمرار في أبحاثك في الحدود التي وضعها الدكتور "الفاريدو" .

ومن أجل ذلك نرجو الاتصال بالدكتور روبرت ستوكماير المسؤول عن مجال العلوم التكنولوجية .
ومع تمنياتنا الطيبة لك بالتوفيق في أبحاثك المقبلة نرجو أن تتقبلي آيات إعجابنا العظيم .

تيرانس ج . أولدهام
المدير العام

قابلت سارة تيرانس أولدهام مرتين ، كان مستشار الرئاسة سابقاً ، وهو رجل مميز للغاية له علاقات عديدة ، وإن كان بارد الطبع إلى حد بعيد .
كان سلوكه تجاه سارة يتسم بالتحفظ إلى حد ما ، ويرجع ذلك -دون شك - إلى أنها صغيرة وجميلة للغاية كي تنهمك مثله في أعمال جادة ، ولهذا كان لسارة الحق في أن ترفع سماعة الهاتف وتطلبه .

بدا متعاطفاً ولطيفاً ، ولكنه كان جامداً معها ، كان من الواضح أن المؤسسة قد عقدت آمالا كبيرة عليها ، وتوقع الجميع أن يسمعوها عنها أخبارا سارة في القريب ، وقد بدأت تباشيرها تظهر .

وياختصار كانوا يعرفون - نون أن يفحصوا - أن الأموال التي خصصت للدكتور - الفاريدو - الحائز على جائزة نوبل - بسبب شهرته العالمية - لا بسبب زوجته الباحثة اللامعة ، وإن كانت مجهولة .

لحسن الحظ لم يكن أولدهام الملجأ الوحيد في حالة الاعتراض .
وطالما رفض الاستمرار في العقد الذي وقعته المؤسسة مع هومير الفاريدو فلم يبق أمام سارة سوى البحث عن تلجأ إليه من بين أعضاء مجلس الإدارة .
فحصت - بسرعة - قائمة الأعضاء التي كانت تضم مشاهير أساتذة الجامعة والسياسيين ورجال الأعمال ، وجدت من بينهم واحدا يمكنه أن يساعدها في كسب قضيتها .

وكان هومير الفاريدو قد علمها كل ما يعرفه ، ومن بين ذلك كيفية المناورة ببراعة مع الأغنياء والأقوياء .

قضت ساعتين في دراسة سريعة لعصر ما قبل تاريخ وسط غرب أمريكا .
ثم أعطت الخطاب إلى إحدى زميلاتها ، الدكتورة جيل فيرجسون المتخصصة في التعرف على أسس الحضارة الهندية والحفاظ عليها .
وهي عضو رئيسي في البعثة إلى الخليج المكسيكي وفي نفس الوقت من أحسن صديقات سارة .

هزت جيل رأسها وهي ترد الرسالة إلى سارة .

- هل تحدثت في هذا الموضوع مع أولدهام ؟

- هذا الصباح بالذات ، نون أن أصل إلى نتيجة .

لقد طلبت منه فقط أن يمنحني مهلة قليلة ، حتى أتمكن من الحصول على مصادر أخرى للتمويل قبل أن ينفذوا قرارهم ، ومن المفهوم أنه قبل ذلك - مع المجاملات المعتادة - لكنه في قرارة نفسه غير مقتنع .
أطلقت زفرة ضيق :

- وإن أفكر في رد فعل البحرية والحكومة المكسيكية عندما يعرفون بالقرار .

ولا شك أنها ستدقنا في الملح .

- إن مزاجك معتل يا سارة ، وأنت مجهدة ، ولا أظن أن ... قاطعت سارة صديقتها بحركة عصبية :

- إن هذا الموضوع الخاص ببعثة خليج المكسيك هو كل ما بقي لي ، وهو الذي ربطني بهومير حيث بدأناه معاً ، وقد عقدت النية على محاولة مقابلة أعضاء مجلس الإدارة كي يجبروا أولدهام على الرجوع عن قراره .

ولكن قبل الذهاب إلى نيويورك يجب أن أعرف ما إذا كان أحد هؤلاء السادة مهتما بعلم الآثار اهتماماً شخصياً .. فهل يمكنك مساعدتي ؟ كانت المؤسسة تضم أربعة عشر عضواً ، ولأسباب مختلفة استبعدت نصف الأعضاء تقريباً .

وفي لحظة معينة ، وقفت سارة أمام اسم جوناثان م هيلي وقالت :

- لاحظني ! إنني اعتقدت أن اسمه هو جوناثان ل هيلي وليس جوناثان م هيلي !

- إن جوناثان موريسون هيلي هو ابن عم جوناثان لينلي هيلي ، وقد تم

انتخابه بدلاً من والده في شهر سبتمبر .

ومن الطبيعي ألا تلاحظي ذلك .

فقد تم ذلك بعد الحادث مباشرة .

كانت "جيل" تشير إلى حادث السيارة الذي أودى بحياة "هومير الفاريدو" ، وهو متجه إلى "الشاليه" الخاص به في الجبل يوم الجمعة مساءً ، حيث انقلبت السيارة على الطريق الذي أصبح زلماً بسبب الأمطار ، وأوراق الأشجار الجافة .

بينما كانت "سارة" بمفردها في "بورتسموث" .

أصبحت "جيل" - بعد علاقة طويلة منذ سنوات - الصديقة الحميمة والقريبة لـ "سارة" منذ وفاة "هومير" .

كانت تعيش بمفردها ، لأن زوجها كان يعمل في أعمال معمارية بالصين منذ خمسة عشر شهراً .

ولم تشعر "سارة" بالضيق عندما دعت صديقتها بعد أن برح بها الحزن .

ولما لم يبد على "سارة" أي تأثير استطردت "جيل" :

- لو كنت مكانك لتحرّيت عنه إنه يبدو شخصاً جديراً بالاهتمام .

قضت "سارة" بقية النهار في المكتبة .

كان كتاب "أل هيلي" - أسرة أمريكية عريقة - قد حقق مبيعات عالية في الشتاء الماضي .

تخرج "هيلي" الابن من جامعة "ييل" في سن الخامسة والعشرين ، من كلية "سلون" لإدارة الأعمال ، التي تخرج فيها أكبر مديري المشروعات بالدولة .

وقد أصبح الآن من أكبر المستثمرين والمساهمين في البنوك بالولايات المتحدة الأمريكية .

وكان قد تزوج وهو في سن السادسة والعشرين ، وطلق زوجته بعد خمس سنوات .

وتزوجت مطلقة ثانية من أحد قضاة "ديترويت" وكانت وريثة جميلة ، وساحرة ومشهورة بمجتمع "نيويورك" أما بالنسبة له ، فقد وصفوه بأنه رجل قاس في

عمله ، ولا يرتبط خارج أسرة "هيلي" ولكن المهم لم يكن مذكوراً بالكتاب .

فقد أعلن "جوناثان موريسون" في إحدى المقابلات الصحفية مع مجلة "نيويورك تايمز" أنه سينشغل بأنشطة مؤسسة "هيلي" بسبب المشاكل المالية ، وتداخل المشروعات ورؤوس الأموال واستراتيجيات الاستثمار ، مما جعله لا يحس بوجوده ، وقد فتحت له المؤسسة نافذة تطل على الفن والبحث العلمي والتقني والحفريات الأثرية . كان مغرمًا بآثار ما تحت البحار .

وقد أمضى السنوات الأخيرة في جزر البحر الكاريبي يقوم بعمليات الغوص والبحث بين بقايا السفن الغارقة .

وهكذا وجدت أن "جوناثان موريسون هيلي" أحد الأعضاء البارزين والرئيس الشرفي لمؤسسة "هيلي" - من هواة آثار ما تحت البحار لم يعد من المجدي بعد هذه المعلومات أن تستمر في البحث .

أغلقت "سارة" الكتاب وقد علت شفقتها ابتسامة رضا .

مر يومان ، وذهبت "سارة" إلى مطار "بوسطن" ، حيث استقلت الطائرة إلى "نيويورك" ، لم تسفر اتصالاتها المتكررة بمكتب "جوناثان هيلي" عن نتيجة ، إذ كان الرد المتكرر هو أن السيد "هيلي" في اجتماع .

كانت سكرتيرته تدعى "جودي ساندز" فتاة لطيفة وعلى استعداد للتعاون ، وقد يكون ذلك أسلوبها المهذب لاستبعادها .

تقدمت "سارة" إليها باعتبارها الدكتورة "سارة بايرز" من جامعة "جورهام" ، ولم تفصح عن الغرض من الزيارة خوفاً من أن يتصل "هيلي" بـ "أولدهام" في الحال ليسأله عن معلوماته حول الموضوع قبل أن يتاح لها فرصة الكلام ، وهو ما يجب عليها أن تتجنبه تماماً .

وأخيراً استقر قرارها على أن الوصول لأهدافها لن يتم إلا بالحضور بنفسها إلى مكتب "هيلي" وتجربة حظها . وكانت لا تواجه مشاكل مالية ، حيث إنها تعيش عيشة رغدة من عائدات كتب زوجها الراحل ومرتبها من الجامعة ومن برامجها التي تذيعها محطة تليفزيون "بي بي إس" ، وكانت "سارة" من جهة أخرى تعرف كيف تؤثر على محدثها وتسحره . كانت تعرف كيف ترتدي

الملابس المناسبة وكيف تأتي بالحركات الرقيقة ، والاشترك في الأحاديث العامة ، رغم أنها لم تكن تهتم بها . كانت قد تعلمت كل ذلك من "هومير" .
واليوم تجد نفسها شاكرة له ذلك .

لقد اجتازت طريقاً طويلاً منذ أن كانت تعيش على سواحل ولاية "مين" إلى أن كبرت وانتقلت إلى جامعة "نيوها ميبشاير" التي أصبحت تقوم بالتدريس بها الآن .

قبل أن تدخل مبنى مكاتب "هيللي" أخذت نفساً عميقاً . وعندما خرجت من المصعد أطلت مباشرة على قاعة انتظار مجهزة بالأثاث الفاخر والإضاءة المبهرة والموائد المنخفضة . تركها الحارس المكلف بحماية القاعة تدخل دون أية كلمة .

كانت ترتدي رداءً كاملاً مسترته من الصوف الأسود فوق تنورة سادة ، وياقة عالية تحتها قميص من الحرير بلون المرجان ، وكاب أسود من الكشمير . كانت تبدو من سيدات الأعمال كثيرات التردد على ذلك المكان .

كانت مكاتب "هيللي" في الدور قبل الأخير . كان هناك رجلان يتناقشان في أحد الأركان ، كان أحدهما يصب القهوة في أقذاح من الخزف الصيني موضوعة على صينية .

سألتها سيدة متوسطة العمر وهي تتقدم منها :

- هل يمكنني مساعدتك ؟

كان ثوبها من الحرير الرمادي اللامع يصدر صوتاً وهي تتحرك ابتسمت لها "سارة" بألفة :

- أنا الدكتورة "سارة بايرز" ... حضرت لمقابلة "جوناثان هيللي" .

عادت السيدة إلى مكتبها الواقع في ركن بعيد عن الأنظار ثم نظرت إلى ورقة وهي تغتمغ :

- "بايرز" .. أليس لديك موعد ؟

ردت "سارة" دون أن تقدم عذراً مقبولاً :

- لا .

ولكنها أظهرت خواتمها الثمينة وعقد اللؤلؤ مع نفاذ صبر ، قالت وهي تفترض

أنها صديقة لـ "هيللي" :

- اتبعيني !

وجدت "سارة" نفسها - فوراً - في حجرة منمقة مجهزة بمقاعد ذات مساند طراز "لويس السادس عشر" بها مائدة عليها الجرائد والمجلات الصادرة صباح اليوم بجميع اللغات ، كما شاهدت أثاثاً دقيق الصنع ، ومكتباً ضخماً صنع من خشب الأرو على شكل نصف دائرة .

جلست خلف المكتب سكرتيرة صغيرة شقراء ، ذات شعر مجعد وعينين زرقاوين .

تكاد تشبه في شكلها نجمة السينما "شيرلي تمبل" أطفأت جهاز الكمبيوتر ثم التفتت إلى "سارة" بنظرة متسائلة :

- أنا الدكتورة "سارة بايرز" وقد طلبتكم خلال هذا الأسبوع .

- نعم ! إنني أتذكر ذلك تماماً أنا "جودي ساندز" وأعتقد أن السيد "هيللي" لم يتذكر .

قالت "جودي" ذلك بابتسامة ساحرة ردت "سارة" :

- بالضبط !

- ومع ذلك نقلت له رسالتك وأنا متأكدة من أنه سيتصرف .

أصرت "سارة" على اللقاء قائلة :

- إنها مقابلة ضرورية للغاية ، وقد حضرت إلى هنا من "نيو هامبشير" خصيصاً كي أقابله .

بدأت "جودي" محرجة فعلاً وهي تقول :

- الحقيقة .. أنا أسفة ، ولكننا هذا الأسبوع لم نقف عن العمل إلا إذا ... اسمعي :

سيحضرون إليه غداً بين لحظة وأخرى . وإذا رغبت فإنني سأذهب لأقول له كلمة في صالحك حتى يصل الغداء له ، ولكنني لا أضمن النتيجة .

ظهر في هذه اللحظة خادم في زي رسمي وهو يدفع عربة ، ووقف كي يضع صينية أمام "جودي" ، ثم استمر في اتجاهه ناحية مكتب "هيللي" .

الفصل الثاني

نادى السيد 'هيلي' سكرتيرته في الساعة الرابعة ، كي يطلب منها إحضار القهوة وبعض الفواكه والحلوى ، وانسحب كي يستريح بعض الوقت وهو يقول :
-أنبهك يا 'جيري' ألا يترك أي شخص هذا المكتب قبل أن نضع أسس اتفاقنا على الورق .

هز رجل البنوك المسمى 'جيري' رموش عينيه ، بينما نظر رجل البنوك الآخر نظرة شك :

- ألا ترى أن الوقت لم يحن بعد ؟

- إذا لم نصل حتى إلى ذلك ، فأعتقد أنه لا جدوى من الاستمرار في الموضوع .

دار 'جوناثان' حول مكتبه ، ثم استند على حافته قائلاً :

-هل سيذهب أحد لمشاهدة مباراة كرة القدم بين أيرلندا والولايات المتحدة غدا؟
لم يكن 'جوناثان' متعمقاً في المسائل الدبلوماسية .

وبعد أن أخطر الطرف الآخر عن ضرورة إيجاد امتيازات استثمارية أخرى ، تحدث عن كرة القدم كي يلفف من الجو ، لأن الجميع كان مشدوداً .

عندما دخلت 'جودي' ووضعت الصينية على المائدة ، ابتسم لها 'جوناثان' ابتسامة حارة ، كان قد ندم على سوء معاملته لها من وقت قريب .

كانت 'جودي' سكرتيرة كاملة ، ولكنها أحياناً ما كانت تبدو شديدة اللطف مع العملاء اللوحين .

استغلت هذا التحسن الواضح في مزاجه ، فانحنى عليه هامسة :

- فيما يتعلق بالدكتورة 'بايرز' .

شد 'جوناثان' على فكيه ، ولكنها أكملت :

- إنها لا تزال هنا ، ويبدو أنها أرملة 'هومير الفاريدو' . كان 'جوناثان' اجتماعياً إلى حد ما ، ولكن كانت هذه المرة الأولى التي تصر فيها أرملة عالم

نهضت 'جودي' حسب الاتفاق ، وتبعته وهي تشير بيدها في اتجاه 'سارة' ثم ظهرت بعد دقيقة وقد بدا عليها عدم الرضا .

- ليس في إمكانني أي شيء .

ويقترح السيد 'هيلي' أن تكتبي خطاباً له تعرضين فيه الغرض من الزيارة .

- إنني أسفة لما سببته لك من إزعاج ، وأرجو أن تعذريني لاستغلالي لطفك والسماح لي بالانتظار دقيقتين ، وسأعرض مشكلتي في دقيقتين .

- لسوء الحظ أن لديه مدخلاً خاصاً يطل على البهو الآخر .

وبدا ضيق الصدر يظهر على 'جودي' .

-حسناً ، في هذه الحالة أرجو أن تعلنيه بأنني أرملة 'هومير الفاريدو' .

نظرت إليها 'جودي' وهي مذهولة ، ثم قالت وقد احمر وجهها من الخجل والانفعال :

- نعم ... إذن الأمر كذلك ؟ إنني إحدى المعجيات جداً بزوجك ، وكنت دائماً أتابع بعناقه ، إنه سيرتك فراغاً كبيراً عند الملايين .

-شكراً .

جلست 'سارة' على مقعد ذي مساند ، وأغلقت عينيهما ، وأحست بأنها منهكة ، وعلى وشك البكاء .

- إنني هنا كي أتحدث عن أعمال زوجي التي كنت فيها مساعده .

والأمر يتعلق بموضوع سري للغاية .

- في هذه الحالة أعتقد أن أفضل شيء أن تنتظري حتى يناديني السيد 'هيلي' لسبب أو آخر وهو ما سيفعله دون شك . وفي هذه اللحظة سأحدث معك .

عك .

غمغمت 'سارة' وهي تبتسم ابتسامة ماكرة .

- رائع ! سأنتظر :

وتناولت صحيفة ، وحاولت التركيز فيما تقرؤه .

حاصل على جائزة "نويل" على رؤيته . . لقد خصصت مؤسسة "هيللي" أموالاً
انتمانية لـ "هومير الفاريدو" في شهر مارس (آذار) الماضي .

فجأة فهم كل شيء ، لقد كان من الطبيعي أن تطلب أرملته لقاءه ، أحس
بالارتباك عندما فكر في أنها تنتظره بمكتب "جودي" منذ وقت طويل ،
بالإضافة إلى أنها قامت برحلة طويلة من جامعة "جورهام" إلى هذا المكان وهي
رحلة - لا شك - متعبة لامرأة في مثل سنها .

لقد التقى منذ اثنتي عشرة سنة بالضبط بـ "هومير الفاريدو" ، وكان وقتها
رئيساً لاتحاد الطلبة بجامعة "هارفارد" وكانت تصاحبه امرأة ذات شعر رمادي
علاه الشيب .

كان يتخيلها تماما باحثة آثار رقيقة تخفي علامات التصميم والريانة .

ولكن لماذا تقدم نفسها تحت اسم "سارة بايرز" وليس "السيدة الفاريدو" ؟
لا شك أنها أرادت أن تحتفظ بكبريائها ولا تستخدم اسم زوجها ، بل تنجح
باسمها هي ! نظر إلى "جودي" وقال :

- أخبريها أنني سأحضر ، وأسألها إن كانت ترغب في بعض الطعام .

ويعد أن شرح الوضع لزملائه ، لبس سترته ، واتجه ناحية مكتب سكرتيرته ، وقد
صمم على الانتهاء بأسرع وقت من تلك المهمة الشاقة ، وقف فجأة على عتبة
الباب ، وألقى نظرة شملت المكان .

فيما عدا "جودي" لم يجد سوى سيدة واحدة تختلف تماما عن المرأة التي التقى
بها في جامعة "ييل" .

لم تكن صغيرة وفي سن ابنة "الفاريدو" فحسب . وإنما أيضا كانت تشبه
عارضات الأزياء - بزيتها رفيع المستوى وزينتها المعتنى بها - وليست عالمة
آثار .

تقدم ، وقد ضيق ما بين حاجبيه ، فلاحظ أن ثوبها كان متسعاً بعض الشيء ،
كما لو كانت قد فقدت بعض وزنها ، كما ظن أنها لا بد قد أخفت شحوبها تحت
زينتها كما بدت متعبة وحزينة للغاية .

وأذهله أيضاً أن تلك الفتاة رائعة الحسن بعينيها الداكنتين المؤثرتين ، وبشعرها

الأسمر المعقوص في أعلى رأسها ، وقد أسقطت بعض الخصلات التي أحاطت
بوجهها البيضاءوي الكامل كانت رقبتها طويلة ، وفمها ممتلئاً ، وأنفها مستقيماً
بينما زاد تعبير الدهشة الخفيفة لنظرتها من سحرها الفتان كانت فارعة
الطول ، وكان هو يحب السيدات الطويلات .

لم يكن لديه سوى تفسير واحد : لابد أنها الزوجة الثانية لـ "الفاريدو" ولا بد
أنها إحدى طالباته القديمات .

وهو ما يحدث دائماً .

مد يده إليها .

- تشرفنا يا دكتورة "بايرز" ... لقد حزنت لأنني جعلتك تنتظرين كثيراً .

والحقيقة أنني مررت بأسبوع مليء بالأعمال ، أتدريين أنني كنت من المعجبين
بزوجك إعجاباً شديداً فكان لي شرف حضور أحد مؤتمراته ، وقدمتُ إليه
عندما كنت طالبة .

لقد كان رجلاً ذكياً لامعاً ومحاضراً ساحراً .

- في الحقيقة ..

وظل كل منهما ينظر للأخر عدة ثوان في صمت :

- يا سيد "هيللي" إنني لا أجهل أنك مشغول جداً ، ولكنه .. هل أطمع في
ساعة من وقتك .. ربما في هذا المساء ؟ ...

قطب "جوناثان" جبينه بون إرادته

كان صوتها حلواً وخافتاً ، ومتردداً بعض الشيء صوت نجمة سينمائية .

فأشار إلى الأريكة وهو يقول :

- أستطيع أن أمنحك بضع دقائق في الحال أرجو أن تجلسي . أتودين قدحا
من القهوة ؟

رفضت القهوة ، واتجهت ناحية الأريكة .

جلسا جنباً إلى جنب وقد أدهشه عدم اكترائها به لقد تعود على الاهتمام الحار
الذي تبديه النساء نحوه .

لا شك أن ذكرى زوجها المؤلمة جعلتها لا تحس بالوجود الرجولي له .

ولكنه لم يكن على صواب في ظنه ، فلم يكن ذهنها مشغولاً بـ " هومير الفاريدو " لقد كانت دهشة من " جوناثان " بقدر دهشته منها لم يكن يبدو عليه مظهر رجال البنوك أبداً كان مظهره متماسكاً ورياضياً ، بشعره الأشقر الطويل إلى حد ما وعينيه شديديتي الزرقة .

ورغم ذلك كانت ثقته بنفسه ويسره الظاهر يعطيانه مظهر الرجل الجاد . وعلى كل فإنه لا يهم إن كان يبدو كرجال البنوك أم لا ، بل كل ما يهمها هو أن يكون باستطاعته تقديم العون المالى لها .

وضعت حافظة أوراقها فوق ركبتيها ، وفتحتها بيدين مرتعدتين بعض الشيء ، ثم قدمت له خطاب " أولدهام " . قرأ " جوناثان " الخطاب ثم رده إليها ، كان يفهم تماماً قرار " أولدهام " الذي لم يتبع سوى تعليمات المؤسسة الداخلية . ولكن ما ضايقه هو المبلغ الضئيل المخصص لـ " سارة بايرز " مقابل الملايين التي سحبت منها . قال لها بلطف :

- إنني شديد الأسف حقيقة ، ولكن " تيري " لم يفعل سوى واجبه ، ولا بد أن تكون لديه أسباب وجيهة حتى يمكنه إعادة النظر في قراره .

- نعم بون شك . ولا أدعي أنه في الإمكان أن أحل محل " هومير " ولكنه بالفعل أتم الجزء المهم والصعب من المشروع بوصفه القاعدة الأساسية ، ولا يوجد سبب يدعو لعدم الاستمرار في المشروع بالضبط كما لو كان مشرفاً عليه وأرجو أن تمنحني الوقت كي أشرح لك هذا الملف .

قدر " جوناثان " سلوكها المباشر . كانت غريزته الواعية قد أصبحت أسطورة في شارع المال " وول ستريت " وقد نبهته في هذه اللحظة أنه سيكسب الكثير لو استمع إلى تلك الشابة الصغيرة .

وعلى أية حال فإن شيئاً واحداً على الأقل كان مضموناً ، وهو رغبته الشديدة في معرفتها معرفة وثيقة .

سألها بغتور :

- حسناً ! كم يلزمك من وقت ؟

أحست " سارة " بانتصارها المفاجئ حتى أنها انتظرت عدة ثوان قبل أن

تجيب :

- حوالي الساعة وقد جهزت لك المستندات حتى تتمكنك من أخذ فكرة عن الموضوع :

- اسمعي ! أقترح أن تتركها لي كي أفحصها هذا المساء وغدا صباحاً ، سنتناقش فيها ونحن نتناول طعام الفطور ؛ لأنه الوقت الوحيد غير المشغول فيه طوال النهار ...

- في أى فندق تقيمين ؟

في الحقيقة لم أقم بالحجز بعد ، لأنني لم أكن أعرف الوقت الذي سأستغرقه في مقابلتك وقد تصورت أنك غير مشغول الليلة .

- لسوء الحظ ، إنني مشغول !

وألقى نظرة على ساعته وأضاف :

- لدي اجتماع في الرابعة والربع وسيستغرق حوالي الساعتين ، بعده لدي دعوة على العشاء ولكن لماذا لا تصحبيني ؟ سأتناول العشاء عند ابن عمي ، ولن يعترض على وجود حسناء مثلك معي .

وعندما ترددت أضاف .

- وحيث إنك لم تختاري الفندق ، فأدعوك للإقامة عندي وسياتي سائقي لاصطحابك ، وسأنضم اليك عندما أنتهي من مشاغلي ونتناقش عندئذ أثناء الطريق إلى " وستشستر " وبالمناسبة يا دكتورة " بايرز " قد يهمك أن تعلمي أن " تيري أولدهام " من بين المدعويين ومضيفنا " روسيل هيلي " فما رأيك إذن في ثلاثة من أعضاء مجلس الإدارة في وقت واحد ؟

من يدري .. فقد يمكنك تحقيق معجزات الليلة ! اضطربت وأحست بعدم الاستقرار أمام دعوة من شخص لا تكاد تعرفه .

أخذت تتلعثم وهي تقول :

- إذا كنت متأكداً من أن ذلك لن يضايقك ؟

- لا .. إطلاقاً ، فلدي ثلاث حجرات للزائرين والعديد من الخدم .

ابتسمت " سارة " وانفجرت أساريرها .

وأخذت تفكر : هذا رجل لا مثيل له ! وعلى أية حال فله روح دعابة عالية .
ثم قالت بصوت عال :
- حسناً موافقة !

نهض "جوناثان" في الحال ، ثم استدار إلى "جودي" .
- اطلبني "جورج" ، ومن المحتمل أن تجديه في السيارة وأخبريه أن يمر ويأخذ
الدكتورة "بايرز" ثم يعود لأخذي في الساعة السادسة .
بعد ذلك اطلبني "جوليا" كي تخبريها بالأمر ، وفي نفس الوقت اتصلي بزوجك
لتخبريه أنك ستتأخرين بعض الوقت ؛ لأنني سأحتاج إليك لكتابة بعض الأوراق
على الآلة الكاتبة .

سألت "جودي" وهي تتذمر :

- ما الوقت الذي نسميه "بعض الوقت" ؟ : ساعتان ؟

- وماذا تساوي ساعتان مع صديقة مثل هذه ؟ وعلى كل فأننا أشكرك بحرارة .
ردت عليه "جودي" ضاحكة :

- وماذا أفدت من الشكر ؟ في يوم من الأيام سيكلفك ذلك عدداً من تذاكر
مباراة كرة القدم تشتري بها سكوت زوجي المسكين "جيفري" .
تنهد "جوناثان" وهو يقول أثناء عودته لمكتبه :

- يا للاستغلال !

ابتسمت "جودي" لـ "سارة" ، ورفعت سماعة التليفون . كان "جوناثان هيلي"
يشارك مع "هومير الفاريدو" في كثير من الأمور .
وهذا ما فكرت فيه "سارة" ، إنه يعطي الأوامر ويتنظر من الآخرين أن
يتبعوها دون معارضة .

وكان "هيلي" يعتبر أن القليل من الأفراد يمكن أن يكونوا على قدم المساواة
معهم ، مثله في ذلك مثل "هومير" ومع ذلك كان كل منهما يواجه المشاكل بطريقة
مختلفة .

كان "هومير" ذوياً ، بينما كان "هيلي" يستغل سحره ومركزه الاجتماعي .
وعلى أية حال فالنتيجة واحدة ؛ كل منهما سريع التأثير .

مضى الوقت وهي تتصفح الجريدة دون تركيز ، إلى أن حضر السائق .
كانت سيارة "هيلي" ماركة "كاديلاك" فضية اللون تنتظر "سارة" أمام المبنى .
وكان السائق متوسط العمر يدعى "جورج دياز" فتح باب السيارة الخلفي دون
اهتمام ، ولكن عندما أخبرته "سارة" أنها تفضل الركوب بجانبه ابتسم
وأصبح سهل الحديث .

تحدثت "سارة" معه عن عملها في "المكسيك" حوالي ربيع الساعة .
وعندما أشار إلى أنه تربى بالقرب من ميناء "فيراكروز" أخبرته أن عائلة
المرحوم زوجها من نفس المكان ، قالت له شارحة :

- "بايرز" هو اسمي وأنا شابة صغيرة ، ولكنني كنت متزوجة من أحد أفراد
عائلة .. "الفاريدو" .

ظهر التأثير على "جورج" :

- كل الناس هناك يعرفون عائلة "الفاريدو" .. ابن من تزوجت ؟

ما إن ذكرت له اسم "هومير" حتى ألقى عليها نظرة دهشة وكانت قد تعودت
على رد الفعل هذا .

كان "هومير الفاريدو" ابناً لاستاذة أدب أمريكية ، ورجل اقتصاد مكسيكي
قضى معظم حياته في الولايات المتحدة الأمريكية ، ولكنه فضل أن يحتفظ
بالجنسية المكسيكية وأصبح من شخصيات أمريكا اللاتينية المرموقة .

كان "هيلي" يعيش في أحد المنازل المكونة من أربعة طوابق من الحجر المنحوت
في شرق حي "الستين" وكانت "جوليا دياز" امرأة حسناء بديئة بعض الشيء .
كانت تنتظر أمام المدخل كي تستقبلها .

بعد تقديم سريع باللغة الإسبانية تخللتها كلمات "هومير" و "الفاريدو" ، استدار
"جورج" عائداً إلى السيارة .

بينما "جوليا" تقدمت "سارة" إلى حجرتها في الطابق الثالث عن طريق
المصعد الداخلي قالت "جوليا" :

- لقد كان زوجك رجلاً عظيماً ولقد أسعدنا أن نستقبلك .

شكرتها "سارة" ، وتبعها داخل الحجرة الرائعة المغطاة بالسجاد المخطط

باللونين الأبيض والذهبي ، والمؤنثة بثلاث فرنسي على الطراز الإمبراطوري .
عندما أبدت رغبتها في الذهاب لشراء بعض الأشياء من محلات بلومينجداال
وشراء بعض الملابس ، أخبرتها جوليا " بلهجة لاتقبل الماقشة :

- سأصحبك فقد بدأ الليل يهبط ، ولا أحب أن تتجولي في ظلام الليل بمفردك .
لم تعترض "سارة" وكانت في قرارة نفسها سعيدة بمصاحبته وقد أراحها
أن تذهب لشراء بعض الملابس وأن تتحدث معها ، عادتا حوالي السابعة
والنصف .

كانت "سارة" قد اقتنصت الفرصة لتشاهد المحلات التي وجدتها متمشية مع
نوقها وطلبها .

وكان تأثيث المنزل متميزاً بخليط من القديم والحديث ، كانت المقاعد والأسرة قد
اختيرت لمئاتها ، وما توفره من راحة ، وطرازها يميل إلى الحدائق ، بينما
كانت اللوحات والمناضد على العكس ، قد اشتريت دون شك من محلات
التحف .

وكان السقف منخفضاً بعض الشيء ، والسجاد "عجيباً" بينما كانت الستائر
موشاة بالورود والأرضية مغطاة " بالباركيه " اللامع ، وكان الديكور يعطي
إحياء بالدفء والخيال .

باختصار أحست "سارة" بالراحة لدى "جوناثان هيلي" .
جلست فوق أريكة بحجرة المعيشة ، وأحست بالسعادة لوقضت الأمسية في ذلك
المكان ، وهي تقرأ بالقرب من المدفأة .

لقد صدقتُ صديقتها "جيل فيرجسون" عندما قالت إنها ليست في حالة
تسمع لها بالمعارك .

عندما دخل "هيلي" ابتسم .
وكانت قد خلعت خفيها ، ومددت ساقها على الأريكة وهي تقرأ كتاباً وتتناول
قدحاً من الشوكولاتة ، وقد ظهر عليها الرضا التام .

قالت له .

- إن لديك منزلاً فخماً ثم أضافت وهي مترددة :

- هل أنت متأكد من رغبتك في الخروج ؟ إن التعب ياد عليك .

- سنذهب عقب تناولنا شراباً منعشاً .

لقد تحدثت تليفونياً مع "روسيل" لآخبره أننا سنتأخر ، وكل الناس سيسعدونهم
استقبالك .

فأطاعته ووضعت الكتاب جانبا .

- في الحقيقة .. أريد أن أخذ حماماً منعشاً . نظر إلى الكتاب نظرة سريعة
وقال :

- هذه الرواية تصيب المرء بالملل وأنا - حقيقة - لا أنهم كيف حققت مبيعات
هائلة ؟

عاكسته "سارة" قائلة :

-لأن هناك أشخاصاً مثلك اشتروها .

ثم استأنفت القراءة !

الفصل الثالث

كان روسيل هيلي * يعيش على جانب حي *سكار سويل * على بعد حوالي نصف الساعة شمال *مانهاتن * .

ويعد أن سألت *سارة * علمت أنه في السادسة والثلاثين من عمره ، وكان بحاراً متمرساً على الحرب ، وقد سببت له طريقة حياته الكثير من التائب من قبل عائلته المحافظة .

وكان رئيس مجلس إدارة مبنى مجمع *هيلي * للاستجمام الدولي الذي يمثل سلسلة من الفنادق من الدرجة الأولى .

وكان على وشك افتتاح فندق * لوبيجو * ، آخر فندق في السلسلة المقام فوق جزيرة على عرض خليج * يوكاتان * ، وهو المكان القريب من الأماكن التي كانت *سارة * تتوي اكتشافها .

ما إن استقرت *سارة * بجانب *جوناثان * في السيارة *الكاديلاك * ، وفي عزلة تامة عن السائق ، حتى أخرج * جوناثان * فكرة مذكرات من جيبه وبدأ يملأ صفحات كثيرة منها بعد أن اعتذر لـ *سارة * ثم أغلقها وأسند ظهره إلى مسند المقعد ، وقد أغلق عينيه وظهر عليه الإرهاق الشديد .

وعندما فتح عينيه استدار إلى *سارة * وابتسم . كان من الواضح أنه ينتظر منها ، أن تعرض قضيتها التي من أجلها انتقلت من موطنها .

ولكن شعوراً بالرغبة والخشية أصابها فجأة ، فظلت صامتة وهي تحاول جاهدة أن تجمع أفكارها .

بدا جلدها وكأنه شفاف تحت ضوء المساء ، الذي كان يشع ضوءاً خافتاً إلى داخل السيارة ، وكانت تحس نوعاً من اليأس الهادئ للغاية ، وعدم أمان مسيطراً خضعت له مما أثر على *جوناثان * تأثيراً عميقاً .

حلم لحظة أنه يداعب شعرها ويلامس وجهها وشفتيها المملكتين ، وتخيل أنها استجابت للمساته .

ولكنه في الحقيقة لم يتحرك ، وكثيراً ما يفكر المرء في تلك الأشياء ولكنه لا يفعلها .

بدأ الحديث كي يساعدها :

- إن مبالغ الانتماء التي خصصت لـ "هومير" كانت لأسباب سياسية كبيرة . وهي تتيح الفرصة لدعم إحدى دول العالم الثالث ، والتحالف مع شخصية مرموقة عالمياً ، وبمعنى آخر فإن الاعتبارات العلمية مكانها ضئيل في قرارنا ، وأعتقد أن المشاكل التي تواجهينها إنما تأتي من ذلك المنطلق .

-أود - أولاً - أن أتحدث معك عن مصدر مياه دافني في فلوريدا إنه يسمى "ينابيع المياه المعدنية الدافئة" وتستمد مصدرها من قلب مدرج عمقه مائتان وخمسون متراً ، ومستدير استدارة كاملة ، وهو بئر عملاقة .. باختصار كان "جوناثان" ، قد ذهب إلى الآبار المعدنية في العام الماضي ، ولكنه لم يحاول أن يقطعها حتى لا تضطرب .

- وقد بدأت القصة بغطاس أعماق يسمى "وليام رويال" وكان القوم حول الينابيع الدافئة يستخدمونها كمصدر للعلاج الطبيعي ، ولكن "رويال" قرر أن يذهب إلى أبعد ما يمكنه حتى يفحصها عن قرب .

اكتشف شقاً في الأرض وحائطاً رأسياً ونزل داخل الشق حوالي ثلاثين متراً إلى مكان يشبه الكهف اكتشف بداخله رواسب كلسية ، واستنبط "رويال" النتائج التي ... ونظرت "سارة" إلى "هيللي" وانتظرت ، كان مسلكه يدل على أنه أستاذ ، وإن لم يرد أن يفصح عن ذلك .. قال :

- ولما كانت الرواسب الكلسية لا تتكون إلا فوق الأرض الثابتة فإن المنطقة لا بد أنها كانت - يوماً ما - مكشوفة للهواء الطلق . أليس كذلك ؟

- بالضبط .. وكون "رويال" بعثة ثانية مع أحد علماء الطبيعة اسمه "إيجين كلارك" فبسط الأعضاء إلى الأعماق واكتشفوا عينات عليها بصمات حيوانات ونباتات أرضية ، وعظام بشرية أيضاً .

وقاموا بفحص العينات بالكربون والكوارتز ، فاكتشفوا أنها ترجع إلى حوالي عشرين ألف سنة .

اقتنع "رويال" بأنه اكتشف "جبانة" ولسوء الحظ كان أحد خبراء الآثار المطرود من جامعة "فلوريدا" غير متفائل من قيمة الاكتشاف .

فقد كان من ناحيته حسوداً لاشتراك هواة في هذه البعثة الاستكشافية وهو ما قلل من قيمته ، ومن ناحية أخرى كان يشك في أن العظام قد نقلت بواسطة مستغلي الينابيع المعدنية الدافئة كنوع من الدعاية .

استغلت محطة تليفزيون "إن . بي . سي" الموضوع ، وأرسلت مصوريها كي يغطسوا برفقة "رويال" .

فحص "رويال" قاعدة القبر الذي اكتشفه ، حيث عثر على هيكل عظمي آدمي ، وعرضه أمام الكاميرا .. انتظرت المحطة وهي غير متفائلة نتيجة فحص الهيكل بالكربون والكوارتز .

كانت الجمجمة لا تزال تحتفظ بآثار المخ البشري من العصر الحالي . أعلن الجيولوجي "سكريب" أن شريحة اللحد ترجع إلى عشرين ألف سنة ، وكذلك الهيكل العظمي .

ولكن التقرير كان متناقضاً للغاية ، ورفضته الأوساط العلمية تماماً . تطلب الأمر من "رويال" اثنتي عشرة سنة حتى تم الاعتراف باكتشافه ، وبعد هذا الاكتشاف تبين عدم وجود أكسجين على مسافة ستة أمتار أسفله ، وبالتالي لا توجد جراثيم حية يمكن أن تحلل الأعضاء الحيوية ومن هنا جاء التفسير لعدم تحلل المخ .

بدأ حماس "جوناثان" ينتعش وقال في تهكم :

- والآن ما الدرس المستفاد من هذه القصة ؟

احمر وجهها خجلاً ، فقال :

- أتريدون أن أكمل القصة بدلا منك يا "سارة" ؟

إنك تظنين أنه كانت هناك حضارة متقدمة فيما قبل التاريخ ، وتبادل تجاري على ساحل المكسيك وغزت كل المنطقة ، ثم اختفت فجأة بطريقة غامضة .

- بالضبط !

وعلى أية حال فإن أكثر الجهات قريباً من الأبحاث هو الطريق الطويل الذي وجدنا عليه الجرار الفخارية .

- لقد فهمت تماماً ولكن اكتشاف سفينة ترجع إلى تلك الحضارة يوجب علينا فحص العينات .

فما ترتيباتك لجمع تلك العينات وترميمها ؟

فكرت "سارة" إنه على حق تماماً ، وقد بدا أنه قد فهم كل شيء من أول مرة .

- توجد طرق ترميم متقدمة جداً ، ولكنها تكلف كثيراً .

وقد ظننا أن المؤسسة قد حلت تلك المشكلة الصغيرة أمامنا .

وجه "جوناثان" نظرة ساخرة وقال :

- أرجو المذرة ، ولكن المادة التي تصفيتها غير موجودة ، وستقوم أشعة جاما بكشف أساس تلك الجدران ، ولكنها لن تكشف ما بداخلها .

أما بالنسبة لأجهزة الترميم فإن الصور التي ستحصلين عليها لن تجعلك تفرقين ما بين المدفع وكاب الجندي ويبقى جهاز المغناطيس لالتقاط الحديد .

هل تفهمين ماذا أعني ؟

قالت "سارة" في نفسها : بالضبط :

إنه مثل البحث عن إبرة وسط كومة من القش إن هذا الرجل الشيطان من الصعب خداعه ، وهو يلقي العديد من الأسئلة ، والآن كيف يمكنها أن تخرج من هذا المأزق ؟

قالت أخيراً :

- يمكننا أن نستخدم جهاز "الهليوجراف المائي" وهو يستخدم أشعة الليزر ويقلب الترددات إلى موجات قصيرة وينقل الصورة على شاشة عرض .

والصور التي تظهر ثلاثية الأبعاد هي في الحقيقة ثنائية الأبعاد .

وهذا النظام وإن كان يحدد بوضوح السطح المطلوب اكتشافه- إلا أنه لا يحقق نتائج إيجابية مع العينات .

والآن يا "سارة" ... أريد منك الحقيقة .

- أتعرف أنك متعب ؟

- حسناً ! لم يبق أمامك سوى إقناعي .

نظرت إليه نظرة متوجسة ، وقالت :

- حسناً ! منذ ست سنوات كان "هومير" يعمل في إصلاح حوض سفينة إسبانية في عرض خليج "يوكاتان" ، واكتشف عدة قطع من الفخار بالقرب من الموقع ، وكان الإسبان يبحرون في عصر النهضة في مراكب تتبع ذلك الطريق حاملين بضائع في أوان فخارية ولكن الفخار الذي اكتشفه لم يكن من نفس الطراز المعروف .

كان "هومير" مهتماً بصفة خاصة بالمدن المدفونة ، سواء عن طريق تحريك الأرض أو بسبب الثورات البركانية ، والاكتشاف الذي حظي بالكبر اهتمامات "هومير" لم يكن مدينة ، ولكن الحائط المفروش في قاع البحر بعرض جزيرة "أحجار البشم" شمال "يوكاتان" .

وكان الجزء الأكبر من الحائط موازياً للشاطئ ، بينما اتجه الجزء الباقي ناحية الأرض وكان مكوناً من كتل من الجرانيت شديدة الصلابة .

وبعد فترة ، اكتشفنا في جزيرة "البشم" بجوار بقايا قبائل "المايا" - حوالي سنة ٢٠٠ قبل الميلاد - بعض الأنوات المصنوعة من البرونز : بلطة وطبقاً ، ومعولاً ، رغم أنه لا يوجد هناك أية مناجم في "يوكاتان" .

وعلى أية حال ، فقد كانت قبائل "المايا" تصنع قائمة من الأشياء الغربية التي عثر عليها في تلك المنطقة ، مثل الخزف المصنوع من جلد "الأيل" في أماكن لا يوجد فيها ذلك الحيوان ، وريش طيور تعيش في أماكن بعيدة جداً عن المكسيك .

- هل تعتقدون أن هناك حضارة غير معروفة لنا هي أصل كل ذلك ؟

- نعم ، ونظن أيضاً أنها خرجت من حضارة "أولميك" التي ازدهرت ما بين عامي ثمانمائة وستمائة قبل الميلاد، فقد كان أهل تلك الحضارة قادرين على نقل كتل الحجارة ، التي تبلغ كل منها خمسين طناً مسافة عشرة كيلو مترات إلى داخل الغابة ، وكانوا متقدمين تقدماً مذهلاً في علم الفلك ، والحساب ، ومع ذلك اختفوا .

وعلى ما يبدو فقد كان "المايا" غير قادرين على البناء خارج مواقعهم .

الفصل الرابع

كان رذاذ المطر يتساقط خفيفاً عندما وقف "جورج دياز" بالسيارة "الكاديلاك" أمام منزل "روسيل هيلي".

وأنزل السائق الزجاج العازل بينه وبين المقعد الخلفي ، وقدم له مظلة مطر . طلب منه "جوناثان" أن يعود حوالي الحادية عشرة ، وخرج من السيارة ، ثم بسط المظلة على باب السيارة حتى تمكنت "سارة" من النزول .

وضع ذراعه على كتفها كي يقربها منه ، وحتى لا تبتل ، ثم تركها عندما وصلا إلى المدخل الرئيسي ذي المظلة التي تحملها أربعة أعمدة .

وقبل أن يدق الجرس التفت إليها وقال :

- اسمعي ! إنني لا أستطيع أن أتخذ قراراً فيما يتعلق بمشروعك قبل أن أدرسه دراسة كاملة .

ولكن مهما كان موضوع تعاوننا ، فإنني أفضل أن أقدمك على أنك صديقة قديمة .

ويمكنني أن أقول :

إنني التقيت بك وبـ "هومير" منذ عدة سنوات في "بور تسموث" عندما كنت أعقد مؤتمراً حول الدراسات العليا ، وافقته "سارة" وحمدت له حسن تصرفه .

وباستخدامه هذه الاستراتيجية ، وضعها في موقف أكثر راحة بالنسبة لمضيفيه .

كان "روسيل هيلي" هو الذي فتح لهما الباب .

استقبل "جوناثان" بابتسامة واسعة وهو يربت على ظهره ، ثم استقبل "سارة" بلطف وهو يثنى على عملها ، وكان من الواضح أن ابني العم كانا متفاهمين تفاهماً رائعاً .

أحست "سارة" بالأمان وهي محاطة بهذين السيدين من الطبقة المهذبة .

وعندما قدمها "جوناثان" على أنها صديقة قديمة إلى المدعوين ، أحست بأنه

- إنهم يقولون ذلك لي يوماً .

استدارت "سارة" بعيداً عنه لحظة وأحست بأنها وقعت في المصيدة ، ولا تدري كيف تخرج منها .

كان من الواضح أن "هيلي" لن يؤيدها إذا لم تتمكن من إقناعه .

ومن أجل ذلك لابد لها أن تكسب ثقته . استأنفت الحديث :

- إن النظام الذي نستخدمه يعمل بنظام "الهيليوجراف الصوتي" ولكنه يستخدم أشعة "إكس" وليس الترددات الصوتية، ويستطيع أن يفتش حتى عشرة أمتار من الداخل .

كان لـ "هومير" أصدقاء في وزارة الدفاع الأمريكية "البنجاجون" ولا أستطيع حقيقة أن أدخل في التفاصيل وما كشفت لك يعد سراً .

أطلق "جوناثان" تنهيدة إعجاب :

- وهل سيقروضونك الأدوات رغم وفاة زوجك ؟

غمغمت "سارة" :

- إن البحرية تحب أن تجري تجاربها على نطاق واسع .

- ويمكنهم القيام بهذه التجارب الضخمة رغم ذلك .

- دون شك .

فكر "جوناثان" بسرعة :

- لم تخبريني عن المكان الذي عثرت فيه على الجرار الفخارية ؟ وعلى بعد كم من الكيلو مترات بالضبط من "يوكاتان" ؟

- سأترك تخمين يا "جوناثان" . . .

لم يكن ذلك صعباً ، فإن أقصى حدود "يوكاتان" يقع على بعد مائة كيلو متر بالضبط من "كوبا" .

لم يعد الحقيقة .

ودار الحديث على العشاء حول الأحداث الثقافية الجارية وعن المجتمع .

لم تقل سارة كلاماً كثيراً .

كان واضحاً أن اثنتين من الحاضرات كانتا من نساء "جوناثان" السابقات .

كانت إحداها قد عادت لتوها من شهر العسل الذي قضته في فرنسا وأخذت تعاكس "جوناثان" وهي تقول له: إنه أضاع فرصة حياته بعدم الزواج منها، والثانية كانت مقدمة برامج بالتلفزيون ، وبدا أنها لم تبتس من مطاردته وكانت تغارله مغازلة مكشوفة .

كانت "لوسي" زوجة "روسيل" امرأة فاتنة وطائشة ، وبدا واضحاً أن قراءاتها وثقافتها لم تتعد المجلات النسائية .

كانت تلمح ساخرة إلى حياة "جوناثان" الاجتماعية ، وأنها ترى صورته في جميع حفلات الاستقبال في نيويورك .

أما بالنسبة لـ "تيرانس" أولدهام " فلم يهتز له طرف عندما رأى "سارة" وهي تدخل ، وإن بدا لطيفاً للغاية .

وفي لحظة معينة انتهزت "سارة" الفرصة لتقول له :

- لقد كنت أقضي العطلة وحضرت هنا كي أتناقش مع "جوناثان" .

وجه "أولدهام" إليها ابتسامة مؤدبة .

- لا أشك في ذلك ، وإذا كنت تريدني التحدث عن دعم المؤسسة فأعتقد أنني ساكون الثاني في قائمتك .

ردت "سارة" ابتسامته :

- تماماً ، وأرجو أن تمنحني دقيقة بعد العشاء ؛ سارع "أولدهام" بالقبول .

بدأ الجميع يسألون "سارة" عن حطام السفن .

كان الحاضرون يتوقعون أن يسمعوا أحاديث وحكايات على شاكلة "مغامرات السهم المفقود" و"المعبد الملعون" .

ورغم أن "هومير" لم يكن يشبه "أنديانا جونز" بطل حلقات وأقلام رعاة البقر .

لأنه كان - في نفس الوقت - مشتركاً في المغامرات عندما بدأت "سارة" تتحدث عن اكتشافه الأخير وكانت تتوسع أحياناً في بعض الحكايات ، وقد أحس الجميع بالرضا التام .

استطاعت بعد لأي أن تكمل عشاءها وتركت الحديث لزملائها .

لم تبد محادثتها مع "أولدهام" ذات فائدة كبيرة كان قد فهم تماماً السبب الذي من أجله حضرت إلي "نيويورك" وأخذ ينتظر توالي الأحداث ، دون أن يرغب في أن يعتدي على سلطات "جوناثان" .

بعد أن تقدم الليل بعض الشيء ، انضم "روسيل" إليها فوق الأريكة بغرفة الاستقبال وتناقشا حول مدرسة لتعليم الغطس كانت لديه نية لافتتاحها بجوار فندق جزيرة "النمر" ، وأخذ "روسيل" يسهب في شرح المشروع .

كان عضواً بارزاً في فريق التزلق على الماء وزوجاً طيباً وأباً صالحاً كما كان بحاراً شهيراً حصل على جوائز سباقات عدة وكان أيضاً مقاولاً ناجحاً ، ورغم ذلك كان يشبه فتى مدللاً لا يشعر بأية مسؤولية ، ولا يأخذ الأمور مأخذ الجد .

وباختصار كان قمة في الجاذبية .

تذكرت أنها قرأت مقالاً حول جزيرة "النمر" في مجلة "نيويورك ماجزين" ، وقد عرض المقال كيف حقق "روسيل" تجارة مزدهرة من الصناعات اليدوية للسكان المحليين . سألته :

- كيف بدأ كل ذلك ؟

- في جزر "فيجي" كانت مؤسستنا قد اضطرت للاستغناء عن عدد كبير من العاملين ، وكانت أحوالنا تبدو وكأنها لن تكفي لتعويض خسائرتنا .

وفي نفس الوقت أردنا أن ننشر بعض الدعاية عنا ، ولذلك قررنا إحياء الصناعات اليدوية في جانب من أعمالنا ، أدى النجاح الذي حققناه إلى تنفيذ الفكرة في خمس مشروعات كانت مهددة بالإفلاس في جهات متفرقة من العالم .

طرأت لـ "سارة" فكرة أثناء حديثه :

- أتدري أننا سنتخذ من "جزيرة النمر" قاعدة عظيمة لنا ، وسنقيم فيها جهاز الإرسال والعمل ومبنى من الحديد كمخزن لبعض متعلقاتنا .

حب في المدينة المفقودة (٣) - ٣٢ -

ولن نزعجكم كثيراً ، وستسلي - في نفس الوقت - النزلاء وهم يشاهدوننا ونحن نعمل .

- بون شك .

كان "روسيل" مسرورا ، وغير مسرور في آن واحد .

- لسوء الحظ أننا بعنا الجزيرة التي كانت أخر جنة لنا على الأرض .. أسوء استخداما .. لقد بني الفندق بطريقة تبدو فيه كل كائبة وكأنها بيت صغير منعزل عن الجزيرة ولها شاطئ خاص ومن ناحية أخرى يمكنك أن تطلبي كل ما تريدينه بالتليفون ، في حين كانت مكاتب الخدمات العامة والمحلات والمطاعم مفتوحة طوال الأربع والعشرين ساعة .

وإذا لم ترغبي في رؤية أحد فإن ذلك أمر متاح ، لكن أبراج الإذاعة وبعض الصناعات قد تعترض الطريق للأسف .

وجدت "سارة" تفكيره غريباً ، ولم تر مانعا من إقامة الصناعات اليدوية المحلية ومدرسة للغطس وقد تدعوه إلى إنشاء حمام سباحة ثان .

بدأت تحس بالتعب تدريجياً كانت تعليقاته حول قاعدة الغطس لا تثير حماسها وغرقت في تفكير ومجاملة عقيم بينما علت وجهها ابتسامة هائمة .

كانت الأمسية طويلة ، وكان خطاب "أولدهام" قد حرّمها النوم عدة ليال . كانت مجهدة للغاية عند الساعة الحادية عشرة كانت على وشك الانهيار .

قال لها "جوناثان" وهو يساعدها على دخول السيارة :

- كان من الأفضل أن أطلب من "جورج" الحضور في العاشرة والنصف .

لقد ظننت أنك ستستلقين فوق الأريكة من التعب .

- إنني حزينة .

- أوه ! لا يوجد مبرر لذلك فأننا أحب "روسيل" كثيراً ولكن صديقات "لوسي" أتعبنني كثيراً .

- أوه .. لا تحدثني عنهن .. وعندما اختفيت مع تلك الرميثة ذات الصوت الحاد ، عدت بعد ذلك وشعرك متناثر ورياط عنقك محلول .

أغرق "جوناثان" في الضحك .

- ما هذا التعليق السيئ ؟

كان مسروراً لأنها تمازحه .

كانت في بداية السهرة متحفظة بعض الشيء ، ولكن بعد قدح أو قدحين من الشراب أصبحت أكثر الموجودات جاذبية .

ومما رآه استطاع أن يعرف أنها من النوع الذي لا يحافظ على مظهره المستكين مدة طويلة ، سواء في عملها أو في علاقاتها .

كان الجو طيباً داخل السيارة .

عندما تتأهبت "سارة" ، وفكت أزرار معطفها ، أطفأ "جوناثان" أنوار السيارة ، وبعدها صار تنفس الشابة منتظماً وهادئاً .

وعندما سقط رأسها إلى الأمام استيقظت في كسل وبحثت عن مكان أكثر راحة لتسند إليه رأسها وهي تغغم بكلمات غير مفهومة .

نادى "جوناثان" اسمها بركة ، ولكنها لم ترد عليه وأخيراً جذبها بجانبه ، وأسند رأسها على كتفه التصقت به في الحال بون أن تستيقظ .

كان يحب الإحساس بعرونة جسدها وثقله على جسده .

بدأت أحاسيسه تستيقظ ، وخياله يلتهب فجأة ولكنه شعر بالخلج من أفكاره عندما تذكر أنها جاءت تطلب معونته كصديق ، ويجب ألا يستغل ثقتها فيه .

كان من المعتاد أن يخرج كثيراً من أجل أعماله ، ولكنه لم يتعود السهر طويلاً إلا في أمسيات قليلة .

ومن جهة أخرى منذ زواجه لم يقم سوى علاقات عابرة مع النساء .

وعلى عكس ما كانت تشيعه "لوسي" المجنونة وتستغل المقالات الكاذبة التي كانت تكتب عنه ، فلم يكن فتى لعوباً .

ولم يكن هو ولا هؤلاء النساء يؤمنون بالعلاقة الجادة ولكن العواطف التي أثارها "سارة" كانت من نوع آخر .

عندما داعب "جوناثان" خدها بإصبعه ، كانت الشابة - التي سبحت في البحر "الكاربيبي" - قد ظنت أن من يداعبها سمكة ممن تعودت عليها .

ثم استيقظت ، لم تكن الحرارة التي تحيط بها وتطمئننا حرارة البحر ، وإنما

حرارة "جوناثان" .. همس برقة :

- لقد أوشكنا أن نصل .

رفعت رأسها بصعوبة وكان فمها قريباً من فمه ، حتر إنها أحست بأنفاسه اللاهثة على وجهها .

كانت أنفاسه حلوة ولدنة .

نظرت إليه وكلها دهشة وتساءلت كيف استسلمت للتعب حتى وجدت نفسها بين ذراعيه ؟

نادى اسمها بصوت مبجوح وحلو ، جعلها ترتعد ، بينما وضع ذراعيه حول كتفيها وهو يضمها إليه برقة كان قلبها ينبض بشدة :

هل كان ذلك من الإثارة أم من القلق ؟ لم تستطع أن تحدد ، وفجأة وقفت السيارة ، فاصطدمت جبهتها بفك "جوناثان" .

اضطربت تماماً ، وأخذت تتلعثم ، وهي تعتذر بصوت يشويه النعاس .

ولدت لتلقائيتها وجمالها لدى "جوناثان" عاصفة فجائية من الرغبة .

ويبلغ به الشوق لتقبيلها حتى تقطعت أنفاسه ، وكأنه منوم مغناطيسياً بواسطة فمها ، وانحنى ، ولكنه أفاق إلى نفسه في آخر لحظة .

همس لها بصوت ساخر :

- يا صغيرتي المسكينة ، إنني أشفق عليك لقد تحدثت إحدى الصحفيات في الأسبوع الماضي عن فكي المنحوتين من الجرانيت .

ابتسمت وقالت :

- لا تقلق إذا كان فكك من الجرانيت فإن جبهتي مصنوعة من حجر الصوان .

والحقيقة أنني قد تلقيت عقابي على فرض نفسي عليك دون خجل ، وإنني أشعر فعلاً بالعار .

- إن ما تقولينه لم يحدث بتلك الصورة .

لقد كنت تتمايلين بدرجة كبيرة ، وقد وجدت نفسي أعيرك كتفي لا إرادياً ، وقد استغللت ذلك بعض الشيء .

لم يسر ذلك "سارة" ، رغم أنها اعتبرت ما فعله نوعاً من الألفة والصدقة .

وكان بالنسبة لها يمثل نموذجاً للرجل المهذب المستعد لتقديم العون لأرملة تعاني

المشاكل ، وهذا كرم منه .

عندما وقفت السيارة ، تتأجبت "سارة" ، وأبعدت نفسها عنه وهي تقول :

- شكراً لك على إعارتي كتفك .

- العفو ، وأنا في الخدمة ومستعد دوماً لتقديمها لك .

- يا للمسكين "جوناثان" ، لقد كتب عليك أن تكون في ضيق دوماً ، لأن لديك

نساء طوال الوقت ينمن على كتفك ويصطدمن بفكك الجرانيتي .

ضحك وهز رأسه :

- ربما كنت أضايقهن ! وسألتقى دروسا كي أستخدم ذكائي وإمكاناتي في إغواء النساء .

فتح باب السيارة ، فاندفع الهواء البارد داخلها .

نزلت "سارة" من الباب المجاور لها ، وأمسك "جوناثان" بذراعها كي يوجهها ناحية المنزل .

وعندما أصبحا في البهو ، سألتها إن كانت تريد أي شيء أثناء الليل .

وعندما أجابته بالنفي ، طلب المصعد الداخلي ثم قال لها :

- إذا أعطيتني ملفك ، فسأحاول أن أدرسه من الآن حتى غد صباحاً وأقدم لك الرد في أقرب وقت ممكن .

ذكرت هذه العبارة في الحال "سارة" بأنه ليس من بين أصدقائها ، وإنما هو الرئيس الشرفي لمؤسسة "هيللي" الرجل الذي يمكس بمستقبلها بين يديه .

أحست مرة ثانية بالقلق والحيرة عندما دخل معها إلى حجرتها .

وعندما خرج والملف في يده ، تمنى لها ليلة سعيدة .

حجبت "سارة" بصعوبة ابتسامة مليئة بالمرارة ، وهي تتذكر عبارة "ليلة سعيدة" .

يبدو أنه ليس لديه فكرة عن القلق الذي تعيش فيه ، ولكنها أجابت تحيته بطريقة طبيعية للغاية :

- شكراً للعشاء يا "جوناثان" ، وأتمنى لك نوماً هادئاً .

اختفى بعد ثائيتين ، وأخذت تمعن النظر في الباب لمدة دقيقة ، ثم وضعت جبهتها على زجاج النافذة وهي تفكر ...

الفصل الخامس

كانت الساعة قد بلغت التاسعة ، عندما أدار 'جوناثان' آخر صفحة من الملف الخاص بـ 'سارة' . كان قد نام في حوالي منتصف الليل وأيقظه جرس المنبه في الساعة السادسة صباحاً .

وبعد عدة اتصالات تليفونية عثر على الأرقام التي كان يريد الاتصال بها . كان أول شخص اتصل به هو أحد علماء علم الإنسان 'بتكساس' ، والثاني أحد علماء الآثار 'بيباريس' .

ولحسن الحظ كان الاثنان موجودين ووافقا على الحديث معه .

وأكد الاثنان ما كان يعتقد 'جوناثان' .

من الناحية العلمية البحتة ، كان 'أولدهام' على حق في إلغاء الدعم ، إذ لو اتضح في النهاية أن الحضارة المجهولة حضارة خيالية ، لما استطاع 'جوناثان' أن يفكر فيما يمكن أن تقوله وسائل الإعلام من أن 'الفاريدو' لم يكن موجوداً حتى يأخذ حذره قبل الإقدام على هذه المغامرة . فقد تصبح المؤسسة موضع النقد الشديد والسخرية .

عندما دخلت 'سارة' المطبخ بعد ساعة كان 'جوناثان' جالساً أمام المائدة الكبرى المصنوعة من خشب البلوط ، يتناول القهوة وقد بدا عليه التفكير .. رفع رأسه .

كانت 'سارة' ترتدي بنطلوناً من 'الجيبنز' الأسود فوق لباس بحر من القطن الأبيض ، وارتدت بلويزة واسعة مفتوحة بها خطوط بيضاء وزرقاء وكانت - في زياها هذا - مثالاً للنضارة .

كانت قد نامت في الساعة الثانية ، واستيقظت في الخامسة ، وقررت النزول إلى المطبخ كي تعد لنفسها قدهاً من الشكولاتة وقطعة من الفطير .

وكان العدد الخاص لمجلة الـ 'تايمز' على المائدة ، فوضعت فوق الصينية التي ستأخذها معها إلى حجرتها ثم عادت إلى النوم ثانية في الساعة السابعة صباحاً .

حاولت "سارة" أن تتحكم في أعصابها وهي تتناول قدحاً من "البوفيه" ،
وتصب لنفسها القهوة بهدوء ، قبل أن تواجه اتهام "جوناثان" سألته بلهجة
مرحة وهي تجلس قبالتها :

- حسناً ! هل قررت تمويل المشروع ؟

- نعم ولا ! ليس في إمكاننا إعادة المخصصات السابقة ، ولكن يوجد حل
وسط.. وعلى أية حال سأساعدك .

خففت "سارة" عينها حتى لا تظهر خيبة أملها .

ثم قالت بصوت مجرد من التعبير :

- أنتظر منك تحليلاً أكثر تفصيلاً .

- سأوضح لك وجهة نظري .

وضع "جوناثان" قدحه ونهض . وتطلب الأمر من "سارة" بعض الوقت كي تفهم
لماذا يبدو في قمة تقمصه لوظيفته . كان ذهنه يعمل بسرعة أشعة الليزر . وكانت
أسئلته معدة جيدة ، وانتهى بها الأمر إلى أن سألته عن كان يتحدث معهم ..
ولكنه رفض أن يصرح بمصدر معلوماته .

وبدلاً من أن تسلك "سارة" مسلكاً سليماً - مثلها في ذلك مثل "جوناثان" -
أحست باعتلال مزاجها وبدأت تكره محدثها .

ومع ذلك لم تكن تعرف النقطة التي أصبح من الصعب بسببها رفض مشروعها .
قدم "جوناثان" أخيراً الملف وهو يبتسم قائلاً :

- هذا المشروع ليس به المبررات الكافية للحصول على كل تلك الائتمانات ،
وأعتقد أنك في قرارة نفسك تشاركينني نفس الرأي .

إنك تطلبين منا أن نمول مشروعاً وعملية كاملة مدتها ستة أشهر بمعدات ثقيلة
وغالية ، والوحيد الذي كان له سلطة تقرير ذلك هو المرحوم زوجك .

أما بالنسبة لك فيجب أن تبحثي عن يشاركوك المشروع يا "سارة" .
قالت في صوت متردد :

- إن البحرية لن توافق ، ولا يصلح المشروع إلا بتعاونهم .

- إنهم في حاجة إليك مثلما أنت في حاجة إليهم . ولا تنسي هذا الأمر .

صمت برهة وهو يفكر . ثم استأنف الحديث :

- كم شخصاً غيرك يعرف الدوافع الحقيقية التي دعت البحرية إلى أن تسمح
لك باستخدام معداتها ؟

- بخلافي أنا ، هناك فقط ضابط الاتصال الخاص بنا ، الذي كان عضواً في
فريقنا وحدد نقاط الغطس والبحث .

وكانت "سارة" تعرف تماماً ما يريد الوصول إليه ، لقد عرف بذلك أشخاص
آخرون مؤخراً من معهد "بورت شارلوت" وسبق لهم العمل مع البحرية وقدموا
لهم كافة الضمانات . وإذا قبلت شركاء لي فسبحضرون خبراءهم المتخصصين
وهو ما يفسد سريقتنا .

- وستضطرين إلى مشاركتهم السلطة ..

بهذا استطاع "جوناثان" أن يحدد الأسباب التي من أجلها اختار "هومير"
مؤسسة "هيللي" فحتى ذلك الوقت لم تكن المؤسسة قد اشتركت في مشروع آثار
من قبل ، وليس لديها خبراء متخصصون في ذلك المجال .
اعترفت "سارة" بذلك .

- بالضبط . ولكن المشروع مشروعني ، وفهمت أنني سأقوم بإدارته .. أليس
كذلك؟

اعترض "جوناثان" في الحال :

- غير صحيح ، فـ"هومير" لم يكن يستطيع أن يقبل أي حل وسط ، أما أنت
فليس أمامك الخيار .

عند هذه المرحلة من المفاوضات ، أحست "سارة" بأنه يقارعها بالحجة بالحجة ،
غير أنها - في نفس الوقت - وجدت جزءاً من عقلها يريد أن يستسلم ، وأحست
بانها تتعرض للضغط من كل الجهات ولم يكن لديها سوى رغبة واحدة .. هي
الهرب ، أخذت الملف في يدها وطوته وهي تقول :

- إنني أحتفظ بحقي في اتخاذ القرار إلى أن تصبر أوامر جديدة يا سيد
"هيللي" . وشكراً على كرم ضيافتك ، وسأكون على اتصال بالسيد "أولدهام"
اتجهت بعد ذلك إلى الباب ، لم يكن "جوناثان" في الحقيقة ينتظر منها ذلك ،

وكان يظن أنها متماسكة .

لا شك أنه ضايقها . ولكن بالنسبة للظروف الواقعة كان ذلك أمراً طبيعياً .
ولكن لماذا هربت هكذا فجأة؟ وما معنى " السيد هيلي " ؟
قال لها :

- أعتقد أنك في حاجة إلى التفكير في حديثنا ، وإذا أردت رؤيتي فستجديني في حجرة الاستقبال .

لم تلتفت وراعاها . وما إن وجدت نفسها في حجرتها ، حتى ألقت بنفسها على الفراش وقد بلغ بها الإنهاك مبلغه ، وطاردتها صورة " هومير " .

لا بد أنها أغضبت ، بعد أن أفسدت مفاوضاته بنوبة عاطفية ساذجة للغاية .

لقد كان " جوناثان " على حق تماماً ، إذ لا بد لها من البحث عن شركاء لها .

أخذت الدرع تتساب على خديها ، وقد انتابتها حالة من الرعدة .

لقد هدم كل من " هومير " و " جوناثان " كل ما كان برأسها من مشروعات .

قفزت من الفراش عاليا وهي تكتم صيحة عندما سمعت طرقاتاً على الباب .

لم يكن سوى " جوناثان " ، فقد رحل دياز " وزوجته من حوالي ساعة حيث كان اليوم عطلتها .

تطلعت بسرعة إلى نفسها في المرآة القريبة من سريرها . كان أنفها أحمر ، وقد

انتفخت جفونها ، وبدا عليها الإرهاق . مسحت دموعها بظهر كفها ، ثم نهضت

واقفة . قالت بصوت متهدج :

- من بالباب ؟

- أريد أن أتحدث معك . هل بإمكانني الدخول ؟

- سأحضر بسرعة .

مر وقت طويل خيم عليهما فيه الصمت ، وأخيراً سأل " جوناثان " :

- إذا أعطيتك ثلاثة ملايين دولاراً فهل تقبلين الحديث معي ؟

كان ذلك الصوت الرقيق مرة ثانية ، الذي كانت تسمعه من قبل في السيارة

بسحره ونعومته ، وكانت هي في حاجة إلى الحنان .

أجابت وهي تشهق :

- لا !!

- ولماذا ؟

- لأن حجرة النوم ليست مكاناً لبحث الأعمال .

- وهذا يدل على أنك لا تعرفين شيئاً . إذن يا " سارة " افتحي الباب ، فأنا مصر

على أن أقدم اعتذاراتي بنفسني .

وعندما أحست " سارة " أنه ليس هناك ما تأخذه عليه ، استسلمت ، ثم أسرع

بالدخول إلى الحمام لحظة دخوله الحجرة ، وعندما عادت أشار إلى الأريكة

الصغيرة بالقرب من النافذة وهو يقول :

- تعالي ... اجلسي هنا ، لقد أحضرت لك القهوة .

كانت أقداح القهوة موضوعة فوق المائدة المنخفضة أمامها ، قال لها :

- قليل من اللبن بدون سكر ؟

غمغمت :

- إنك شديد الملاحظة .

- ليس بالضرورة ، إنني لم أحسب حساب أنك فقدت زوجك منذ وقت قصير ،

وأن هذا أدى إلى حرمانك من أعظم مشروع في حياتك ، إنني حقيقة في غاية

الأسف .

امتلات عيناها بالدموع ، ولكنها قالت له بلهجة مرحة .

- لقد وعدت بإعطائي ثلاثة ملايين دولار .

- لقد كذبت فهل تسامحينني ؟

- أنت تعرف تماماً أنه ليس هناك ما يوجب التسامح ... إنك رائع

يا " جوناثان " .

ارتشف القهوة وهو يراقبها بإمعان :

- إنني فقط ممن تنقصهم " الدبلوماسية " والآن فهمت أنك كنت تحبين زوجك

حياً جماً ، وأنت تعتبرين المشروع تكريماً لذكراه ، ولسوء الحظ ...

- إن من المستحيل تحقيقه بالشكل المتفق عليه سابقاً ، والحقيقة أنني سببت

إزعاجاً بعدم الإقرار بتلك الحقيقة ، ومع هذا .. أعتقد أنك تقدم لي مبررات

تبدو صالحة أكثر مما هي في حقيقتها يا 'جوناثان' . أطرقت بعينها ،
وأخذت تلعب بطرف قميصها :

- في الحقيقة أنا لم أكن أحب 'هومير' ، وكفي أتوخى الدقة أقول:
إنني كنت أقدمه ، خاصة في البداية .

وهنا ساد صمت شديد بعد هذا التصريح ، ووضع 'جوناثان' ذراعه في مودة
حول كتفها .

- استمري من فضلك .

أحسست 'سارة' برغبة جامحة في الالتفات له ، وأن تلتصق به وأن تدعه
يطمنئها .

لقد مر وقت طويل لم يؤثر فيها شخص بهذه الطريقة وبهذه العاطفة الآمنة .
ولكنها ظلت في مكانها ساكنة .

- لقد كنت صغيرة عندما التقيت بـ 'هومير' ، وكنت قد أتيت من مدينة ساحلية
صغيرة بولاية 'مين' .

كان والداي يمتلكان محلاً للبقالة ، وتوفي والدي عندما كنت في العاشرة ،
وتوليت إدارة المحل مع أمي .

كان جدي بحاراً ، وقص علي حكايات كثيرة عن رحلاته ، ولعل هذا هو السبب
الذي من أجله أحببت السفن .

أخذت في البداية أحلم بأن أتخصص في الطبيعة البحرية ونلت منحة دراسية
بجامعة 'جورهام' وبهذا حضرت مؤتمراً لـ 'هومير الفاريدو' .

ظلت صامتة بعد ذلك لمدة ثوان ، ثم استمرت :

- كيف يمكنني أن أصف لك شعور الحنين إلى الثقافة الذي كان يجتاحني ؟
منذ تلك اللحظة لم يعد لي سوى حلم واحد ، هو : دراسة آثار ما تحت الماء . لم

يمض وقت طويل حتى لاحظني 'الفاريدو' العظيم . لم يكن يظهر لي التواضع
ولكنني كنت طالبة مجدة .

وأخيراً أصبحت تحت حمايته ، وعلى استعداد لعمل كل ما يمكن لإسعاده .

- بما في ذلك الزواج منه ؟

- يا 'جوناثان' ! .. رغم كبر سنه كان جميلاً ومليئاً بالحيوية وجذاباً للغاية .
وكان مفضلاً لدى النساء اللاتي لم يخجلن من إغوائه ، خاصة بعد وفاة زوجته
الأولى .

- فعلاً ... لقد تسالطت ماذا كان مصيرها ؟ لقد رأيتها في أحد مؤتمرات
'الفاريدو' ، وكنت أتوقع رؤيتها عندما دخلت أنت مكتبي أول مرة .

نظرت 'سارة' إليه في دهشة ، ثم استأنفت قصتها :

- لقد كانت تعاني السرطان ، وماتت وأنا في التاسعة عشرة ، وتزوجت 'هومير'
في سن الحادية والعشرين .

لم تكن في الحقيقة متكافئين ولم يكن قد حصل على جائزة 'نوبل' فحسب ،
وإنما أيضاً صنع منه التلفزيون نجماً إعلامياً . كان قد سيطر علي تماماً
واعتبرت ذلك أمراً طبيعياً .

- وفي يوم ما رأيت نفسك مطالبة بمجاراته ؟

انطلقت في ضحكة مرحة :

- إنك تسخر مني ! لقد كان يسيطر عليه طموح بلا حدود ، لم يكن 'هومير'
يعتبر أن هناك شخصاً يساويه .

ومع ذلك حاولت أن أسرع الخطا كي أجاريه ، وسأخبرك بشيء لم أقله لأحد
قط :

لقد كانت النظرية التي تدعم طلب التخصيص المالي من بنات أفكارني .

ولقد اقترحتها عليه فور عثورنا على الجرار الفخارية .

وبعد اكتشاف الحائط المغروس في البحر بدأ ينظر إلي بجدية وبحث عن دلائل
جديدة . ومع ذلك لم يتحدث قط عني في مقالاته وانتهى بي الأمر إلى نسيان

حتى إسهامي في بحوثه .

أخذت 'سارة' تنظر في قدحها ، وقد غرقت في أفكارها ، ثم استطردت
قائلة :

- بدأ ينمو داخلي إحساس متزايد من الكراهية السرية ، التي وصلت إلى حد
شعوري نحوه شعوراً سلبياً .

وأصبحت السننات الأخيرتان من زواجي من "هومير" أقسى سنوات حياتي .
كانت له شخصية طاغية ، وكان عمله كل حياته .

لقد اعتاد الاعتكاف في "الشاليه" المقام في الجبال البيضاء كي يعمل ، ولم
يكن يسمح لأي فرد بتتبعه لزوجته الأولى ولا أنا شخصياً .

وكان يذهب هناك في عطلة كل أسبوع ، حتى أحسست أنه أهملني ، وكان يعود
بافكار رائعة ثم نرحل معاً إلى الكاريبي أو خليج المكسيك ، حيث كنا نقضي
معاً لحظات غير طبيعية . لقد عشت معه أكثر لحظات حياتي إثارة .

أحست بأن الكلمات تكاد تختنق حلقها :

- عندما مات ، أحسست بالغضب لأنه تخلى عني ، وبالذنب لأنني مازلت على
قيد الحياة .

وليسامحني ربي يا "جوناثان" لأنني أحسست ببعض الخلاص عندما اختفى
من حياتي .

أخذت الدموع تترقرق على خديها :

- عندما وجدت أنني لن أعرف المباحج التي كنت أتوقعها عند اشتراكي معه
في أي كشف عظيم أو ألتقى مديحه عندما يتأثر بنجاحي ..

أوه يا إلهي ! .. لم أكن قادرة على حبه حب المرأة لزوجها ، فتولدت بيننا مسافة
كبيرة ، ولكن عندما مات انهارت حياتي .

وارتفع صوتها بعض الشيء :

- لقد ضحيت في سبيله بجزء كبير من حياتي ، وإن لم يكن ذلك بدون طائل ،
والآن ذهب كل ذلك هباء .

واستدارت ناحية "جوناثان" ، وألقت نفسها بين ذراعيه وقد هزها النشيج .

أخذ "جوناثان" يربت على شعرها ، ويؤكد لها تفهمه لمشاعرها ، وشرح لها أن
عواطف الحب دائماً ما يشوبها بعض الغموض والتعقيد .

هدأتها كلماته العطوف ، وأخذت تبكي حوالي ربع الساعة ، أدت إلى خروجها
من حالة التوتر الرهيبة والعصبية التي تملكها ، وبعد ذلك نهضت ، وابتسمت

لـ "جوناثان" وهي تحس بالخلاص والارتباك في آن واحد وشكرته بركة .

كان "جوناثان" يتمتع بالتلقائية والتماسك ، مما جعلها تحس بأن كل ما حدث
أمر طبيعي ، وأنه لن يهتم بالنتائج المترتبة عليه .
قال لها :

- هناك معرض بمتحف الفن الحديث ، وأحب جداً أن أذهب لمشاهدته .

هيا بنا نذهب إليه ، ونتناول الغداء معاً ثم نتجول بعض الوقت في المدينة
ونتحدث عن المشروع ، ... هل هذا يوافقك ؟
قبلت عرضه .

كان النهار رائعاً ، وكانهما في شهر سبتمبر أو نوفمبر .

وأدى التريض في ضوء الشمس والهواء الطلق ، إلى خلاصها لأول مرة من
الحزن الذي كان يكبلها ، وأضفى كل ذلك عليها مظهراً جديداً .

أحست أنها عادت للحياة شابة من جديد .

سار "جوناثان" بجانبها وهو يشعر بنفس ما تشعر به .

كان يشعر بالفخر لأنها وثقت به . كما أحس بداخله بالسعادة عندما اكتشف
أن "الفاريدو" ليس ساحر نساء كما كان يظن وأنه لم يكن خالياً من العيوب ،
ولم يبق أمامه سوى الانتظار .

اقترح "جوناثان" أثناء الغداء تخفيض تكاليف المشروع باستخدام سفينة
أبحاث أصغر حجماً بطاقم بحارة قليل العدد وغطاس واحد .

واقترح أيضاً إلغاء بعض أبحاث أعماق البحار اكتفاء بما قامت هي
باكتشافه . أما بالنسبة للشركاء فقد فضل أن يكونوا مكسيكيين .

وإذا أرنت فإن باستطاعتي القيام بالاتصالات المبدئية ، وكفي أن تخبريني
باسماء من اتصل بهم . "هومير" بالبحرية .

كان "الجنرال" الذي ذكرت اسمه "سارة" يشغل مرتبة عالية جداً ، ولكن
اتصالات "جوناثان" كانت تعد ميزة إضافية في هذا الشأن ، هزت "سارة" ،

رأسها ببرود وهي تضحك .

فقال :

- إنني أحس أحياناً أن مجال سلطات عائلة "هيللي" يضايقك .

اعترفت وهي تبتسم ابتسامة غير واضحة :

- هذا حقيقي فانت تعرف كل الناس ويمكن أن تقول لي الآن إن ابن رئيس المكسيك من أحسن أصدقائك ، وإنه كان معك في فريق "البولو" عندما كنتما في الكلية ...

- في الحقيقة ..

- لا تكذب ، فهو أصغر منك بأربع سنوات .

- نعم .. لكنه منذ شرائه شركة "أي . إم . دبليو" وهو يعمل في مجال الأعمال .. في مجموعة شركات "فيليب" ..

قاطعته قائلة :

- "فيليب" ؟ .. أتسمي "فيليب" مندريس مونتويا" - فيليب ؟ !!

- فقط عندما نلعب الكرة الطائرة معاً .

- عندما تكف عن محاولة التأثير علي . وبهذه المناسبة فإن "هومير" لم يستطع أن يحصل على أي مبلغ من الحكومة المكسيكية . كل ما فعلوه أنهم سمحوا له بالبحث في مياهم الإقليمية .

- نعم .. ولكن الظروف تغيرت ، فهم أيضاً في حاجة إلى هذا المشروع ، وإذا علموا أنه على وشك الفشل فمن المحتمل إلى حد كبير أن يبذلوا جهداً وأتعهد لك بأن أحاول الاتصال بهم .

شكرته "سارة" ، واستقلا سيارة أجرة إلى المتحف ، وبعد ذلك تمتعا بمشاهدة فيلم سينمائي ، ولكن عندما اقترح "جوناثان" أن يذهبا لتناول الغداء في مطعم صيني مجاور هزت "سارة" رأسها وهي تقول :

- لا .. يجب أن أعود الآن إلى "نيو هامبشير" ، وغدا يجب علي أن أعد محاضرات الأسبوع القادم كله ، ولدي أعمال متأخرة فوق طاقتي .

- في هذه الحالة ليس أمامي سوى حضور معرض مؤسسة البر الذي نظمته زوجة أخي العزيزة ولم أكن أريد أن أبدأ يومي غداً بالمتاعب .

تنهد وهو يقول :

- وفي هذه الحالة ، فإنني مصمم على اصطحابك بسيارتي "الكاديلاك" إلى

المطار .

- لا تتعب نفسك ... فلا أريد إزعاجك .

- تصوري نفسك بصحبة سائق سيارة أجرة تائق يقود السيارة كالمجنون وساقاه غير ثابتتين .

أحست بالامتعاض من الفكرة ، واختارت "الكاديلاك" .

وحاولت - بينما كانا في الطريق إلى المطار - أن تقنعه أنها على حق في اتخاذها هذا القرار الصائب :

- لقد بلغ بي التعب مبلغه ، حتى إنني كنت سأقع مغشياً علي عند مطعم "موشو" الصيني .

- وأنا أيضاً .. كنت سأموت من شدة الضيق وأنا أتناول ضلع الخروف ، خاصة مع "أندريا" وفريقها للأعمال الخيرية .

سألته "سارة" دهشة :

- "أندريا" ؟

كانت وفقاً للمستندات التي فحصتها عنه ، قد تبين أن له شقيقين ، أحدهما كان عضواً بمجلس الشيوخ ، والثاني يدير مجموعة شركات في "دينفر" بينما كان له شقيق ثالث توفي منذ سنوات طويلة .

ولم يكن لأي منهم زوجة تدعى "أندريا" ، قال شارحا : الأدق أن أقول أخت زوجتي السابقة . فنحن نلتقي بانتظام .

كانت هذه المرة الأولى التي يخوض فيها في حياته الخاصة .

- لقد تم الطلاق إذن بالتراضي بينكما ؟

- لنقل إن الأمر مر بسلام ؛ فقد منحت "كلير" كل ما تشتهي المرأة :

إقراراً برضائي وبصورة رسمية ، أن ما حدث كان غلطتي ، ومنحتها مبلغاً طائلاً .

- كيف يمكن أن تقول هذا يا "جوناثان" . إنني امرأة ، ولا أجد في تصرفاتك ما تقوله .

- لقد أحسست بعض المرارة لعدم نجاح زواجنا .

حُب في المدينة المفقودة (٤) - ٤٩ -

كنت أقضي معظم وقتي في العمل ، وإذا ما استقبلت بعض العملاء في المنزل ، كنت أصحابهم لحضور مباريات كرة القدم ، أو أقترح لعب مباراة في الجولف ، وهو ما كان يضجر كثير " كثيراً ، وكانت تحاول أن تغريني بالذهاب إلى الأوبرا أو المسرح أو المتحف ، ولكنها كثيراً ما كانت تفشل .

- ولكنك أنت اليوم اقترحت علي زيارة المتحف ومشاهدة الفيلم ..

- كنت في وقت ما من حياتي أحاول الهرب فترات ما بعد الظهر .

ومن حوالي ستة أشهر - قبل انفصالي عن كثير - أفقت تماماً إلى نفسي ، وتبين لي أن كل ذلك كان يتم بعكس رغبتني ، مما أفسد حياتنا ، وقد اقترحت عليها أن تذهب للحفلات الموسيقية والمتاحف بمفردها ، ولكنها فجأة لم تعد مهتمة أبداً بمسألة غيابي عن المنزل وعن تلك الحفلات ، ولما كنت ساذجاً - في حد ذاتي - فلم أفهم أنها قد اتخذت لها عشيقاً .

وعندما رحلت كنت أنهم الحظ ، لأنني كنت لا أزال أحبها ، وفي هذا الوقت اختار شقيقي "توم" - الذي يكبرني بثلاث سنوات فقط - هذا الوقت بالذات كي يصاب ببنوية قلبية ويموت دون أي توقع .

مررت بفترة عصيبة ، وكان والدي قد تأثر إلى حد بعيد ، حتى إنه تخلى عن مسؤولياته بالمؤسسة ، بينما ازدادت مسؤولياتي فيها شيئاً فشيئاً . وقد فتح ذلك أمامي أفقاً جديدة .

عند هذا الحد من اعترافات "جوناثان" ظهرت مباني المطار عن بعد .

وبدلاً من أن يتبع صف السيارات الذي كان سيتيح لهما الانتظار دقائق فقط . اتجه إلى مكان انتظار السيارات .

أعلن لها وهو يقف السيارة :

- أود أن أسوي أمراً أو اثنين معك قبل سفرك ، إن الاجتماع القادم لمجلس إدارة المؤسسة لن يكون قبل شهر ديسمبر .

أرسلني إلي بالبريد كل ما يمكن أن يوضح النقاط التي يمكن لنا أن نتفق عليها ، وقائمة باتصالات "هومير" ، ولا يشغلك أمر "أولدهام" فسأهتم به .

ابتسمت له "سارة" :

- شكراً لكل ما فعلته يا "جوناثان" ... لقد كان اليوم ممتعاً حقاً .

ثم خفضت رأسها وقالت مكلمة حديثها :

- وشكراً لأنك سمحت لي أن أبكي على كتفك ، وأرجو ألا تكون دموعي قد لوثت سترتك .

مرر إصبعه على خدها ، وقال بصوت رقيق :

- لقد تأثرت سترتي كثيراً . عوداً حميداً ، وأرسلني لي كل ما طلبته .

- اتفقنا .

وضعت "سارة" يديها على كتفيه ، وانخنت للأمام كي تمنحه قبلة الوداع .

كان ذهنها يفكر فقط بأن هذه حركة مودة لا أكثر ، ولكن عندما لمست شفها "جوناثان" خدها . أحست أن قبلته في غاية الحلاوة والقبول ، حتى نسيت أن تخرج من السيارة .

أخذ وجهها بين يديه وملاه بالقبلات السريعة المحمومة .. بينما أخذ قلب "سارة" ينبض بشدة . أحست بيديه تتجولان فوق جسدها بلطف ورغبة ، فازدادت سرعة أنفاسها وألقت برأسها للخلف وقد فتحت شفيتها نصف فتحة . وانتظرت وهي متقطعة الأنفاس ..

فجأة أخذت يده تجريان في شعرها بعنف ، ثم أطبق على شفيتها .

لم تعرف "سارة" بعد ذلك ماذا حدث بالضبط ؟

فقد كانت في شبه غيبوبة من الرغبة ، وفجأة استعادت وعيها .

كان ذلك بمثابة استيقاظ من حلم غير طبيعي .

أبعدته بحزم ، وسألته في تأنيب .

- لماذا فعلت ذلك ؟

ألم يكن الأصح أن توجه هذا السؤال إلى نفسها ؟

واعترض بعد ثانيتين من التفكير والصمت .

- لقد طلبت ذلك بطريقة خفية .

وصحب إعلانته ذلك بابتسامة مرحة :

- وأنا كنت أتحرق شوقاً لذلك .

الفصل السادس

مرت ست سنوات منذ آخر مرة قضت فيها عيد الميلاد مع أمها .
وكان "هومير" يمتعها في تلك الأوقات في "المكسيك" أو بالرحلات ، وعندما
اشتكت من ذلك ، كان الأمر ينتهي بجدال حاد ورجوعها عن إصرارها .
كانت تستعيد ذكريات طفولتها عندما كانت تغني ألحان عيد الميلاد حول البيانو
عند خالها وخالتها ، وتساعد أمها في إعداد العشاء وتزيين شجرة عيد الميلاد .
وكانت تتمتع مع بنات ابنة عمها "إميلي" وتساعد في المحل ، وتزود
الصديقات .
وكانت العطلات الصيفية - في الوقت نفسه - تسمح لها بالعمل في هدوء
ومراجعة دروسها .
قررت أن تذهب إلى "بور تسموث" يوم الجمعة الثالث من يناير (كانون ثان)
بعد الغداء وبذلك تصل عند حلول الليل .
نهضت في ذلك اليوم مبكرة جداً ، وأشعلت مدفأة حجرة المعيشة ، وأعدت
لنفسها القهوة ، ثم جلست في راحة تطالع الجريدة ، لحقت بها أمها حوالي
الحادية عشرة ثم مدت يديها ناحية النار .
- إن البرد قارس يا "سارة" ويقال إن عاصفة توشك أن تهب .
- اخلعي معطفك يا أمي واجلسي .
وضعت "سارة" مقعداً بجوار المدفأة وسألتها :
- هل تريدين قدحاً من القهوة ؟
- ليس الآن يا عزيزتي .
ألقت "أليس بايرز" نفسها فوق المقعد ، وقد وضعت معطفها فوق ركبتيها ،
كانت تبلغ الستين ، ولكنها كانت تتمتع بصحة جيدة للغاية .
- إن "مارجوري" تتولى العناية بالمحل حتى موعد رحيلك .

احمر وجهها خجلاً ، ولم ترد مناقشة هذه النقطة .
- ولكني لا أهتم بمثل هذه الأمور يا "جوناثان" وأقسم لك على ذلك .
- أنت مخطئة يا دكتورة "بايرز" لقد اهتمت بذلك ..
على الأقل بضع دقائق ..
وأخذ يربت برقة على شعرها .
- لا تعطي الأمر أكثر مما يستحقه .
ربما كانت هذه أولى قبلاتنا أو آخرها لوقت طويل وعلى أية حال فإن أي الحلين
يرضيني .
قالت له بلهجة لازعة ، وقد ضايقها استهتاره :
- هل أنت متسرع في علاقاتك مع النساء هكذا ؟
- على العكس تماماً .. فإنا رجل رزين ، بل أكثر الناس رزانة . ثم تنهد
وأكمل :

- أه من هؤلاء العلماء ! اذهبي واستقلي طائرتك يا "سارة" .
وقبل كل شيء فإن الأمر لم يخرج عن كونه مجرد قبلة ، وليس نظرية
"آينشتين" عن النسبية .
أطاعت "سارة" ولكن ما حدث بينهما كان أكثر تعقيداً من نظرية النسبية .

لقد أحسنت عندما وضعت سلاسل السير فوق الجليد فوق إطارات سيارتك
فهل فعلت ذلك ؟

- نعم يا أمي هل طالعت الجريدة ؟

- أرينيها .

تصفحت "أليس" الصفحات بسرعة .

كانت "سارة" تفضل هذه الجريدة الأسبوعية المحلية ، لأنها تطلعها على
إشاعات "سل بورت" كانت الجريدة قد أشارت إلى حضورها في عدد
الأسبوع الماضي .

كما كان هناك تحقيق صحفي عن أخبار المجتمع ، قالت "أليس" :

- لقد قرأت الجريدة هذا الصباح في المحل ، وكانت "مارجوري" قد
أحضرتها ، وقد قضينا وقتاً لا بأس به في قراءتها .

وأريد بالضبط أن أريك شيئاً ..

طوت "أليس" الجريدة وهي تقول :

- آه ..ها هوذا .. أخبريني :

هل يخرج حقيقة مع تلك المرعبة ذات الشعر "البلاتيني" ؟

انحنى "سارة" فوق كتف أمها ، وكان المقصود هو "جوناثان هيلي" والمرعبة
البلاتينية هي "توني ريتز" ، الصحفية مقدمة البرامج التلفزيونية التي
قابلتها عند "روسيل هيلي" ، وكان التعليق على الصورة يقول :

"آخر غزوات رجل البنوك "جوناثان هيلي" .. أغرقت "سارة" في الضحك
وقالت :

- أوه يا أمي ! يجب ألا تصدقي كل ما يكتب في الصحف .

لقد كانت "توني ريتز" تحضر هذه الأمسية لدى "روسيل هيلي" التي حدثتك
عنها ، ولم يعطني الانطباع بأنه مفرم بهذه المرأة .

- إنها مشهورة بأنها صنعت مهنتها عن طريق لصق اسمها بأسماء الأشخاص
المرموقين ، وما تقولينه . عن صديقك "جوناثان" يجعله يقع فريسة لها .

- لا تقلقي عليه ، إنه يعرف كيف يحمي نفسه .

ابتسمت "سارة" عندما تذكرت رد فعل "أليس" حينما اتصل "جوناثان"
تليفونياً يوم الاثنين الماضي ، وتناقش أكثر من عشر دقائق مع الأم قبل أن
يطلب الحديث مع الابنة .

وكانت "أليس" قد وضعت كفيها فوق سماعة التليفون وهمست :

- إنه هو .. إنه ساحر ، ولكن لا تنسي أنه من "نيويورك" .

لم تكن الأم يروقها "هومير الفاريدو" كثيراً ، فقد كانت تعتبره منفراً ، وليس
مؤثراً كما تعتبره ابنتها "العجيبة الثامنة" في العالم .

والآن ها هي "ني" ، لا تثق برجل البنوك هذا اللعوب .

أما بالنسبة لـ "سارة" فإنها لم تكف عن تقديم آيات المديح عنه منذ مجيئها ،
ومنذ أن نظم لها بعثة تتولي هي قيادتها .

كانت البحرية ستوفر فريقاً عن طريق معهد "بورت شارلوت" ، كما سيمول
مركز أبحاث "بفلوريدا" الباخرتين ، وأعضاء طاقم البحارة والغطاسين كما

ستساعدنها أيضاً الحكومة المكسيكية ، وفي المقابل سيقوم أحد خبراءها
بفحص كل ما يستخرج من الماء وجميع الأشياء الثمينة تبقى داخل البلاد .

وأخيراً ستقوم مؤسسة "هيلي" بتكملة كل ما ينقص ، كما سيقوم "جوناثان"
بنفسه بإدارة المخصصات المالية .

أما الظل الوحيد الذي كان في تلك اللوحة الرائعة فكان النور الذي ينوي أن
يلعبه هو ما دام قد قرر الحضور بنفسه إلى الخليج كي يشترك في الأبحاث .

طوت "أليس" الجريدة ، ووضعتها فوق المدفأة ، وأدارت رأسها ناحية النافذة .
- هل لاحظت خضرة الأشجار العالية ؟ إنها تنتمي إلى فصيلة نادرة من

الأشجار .

أريد أن أقابل صديقك "جوناثان" ، وأرجو أن أكون موجودة عندما يحضر المرة
القادمة إلى "بور تسموث" .

- ولكن يا أمي لا توجد أي شركة من شركاتها في "بور تسموث" .

قالت "أليس" بلهجة ماكراً دون أن تحول نظرها :

- ربما لا تكونين إحدى شركاتها ، ولكن هذا لا يمنع أنك تقيمين في

بورتموث .

- إن لديك يا أمي خيالاً جامحاً فعلاً .

أطلقت " أليس " صيحة لاذعة وقالت :

- فكري ثانيتين يا "سارة " .

لقد تحدث هذا الفتى حوالي عشر دقائق في التليفون .

هل تعتقدان أنه يضيع وقته في محاولة استمالة أمهات كل من يعقد معهم

أعمالاً ؟ إنه ليس من ذلك النوع .

هزت "سارة " رأسها ، ورفعت عينيها إلى السماء .

-أوه ! لا داعي لأن تتعبي نفسك ، أو تقومي بحركات غضب من وراء ظهري

يا "سارة " .

صمتت " أليس " برهة ، ثم قالت :

- إنك ما زلت شابة ، وفي كامل صحتك ، وقد تغير الزمن .

والآن فإن النساء لهن مطالبهن ، ويتصرفن وفقاً لتلك المطالب .

صمتت مرة ثانية ثم أردفت :

- لا بد أن هذا الشاب جميل جداً رائعاً .

لم تستطع "سارة" أن تمنع تهيدة إعجاب، بينما استمرت أمها في الحديث

وهي تضحك :

- حسناً .. لا تحرمي نفسك يا ابنتي ولكن اسمعيني جيداً ..

إنني لا أريده أن يدير حياتك بدلاً منك ، أو أن يجرح قلبك .. هل تفهميني ؟

لقد عانيت بما فيه الكفاية مع " هومير " ولا تربطي أحسن ما فيك برجل

يا ابنتي الصغيرة .

إن الرجال العاطفين لا يقبلون أبداً تلك الهدية ، ورجال السوء لا يستحقونها .

ترقرقت الدموع في عيني "سارة" ، واحتضنت أمها وقبلتها ، وداعبت

شعرها الرمادي وهي ساهمة .

وقفت "سارة" في منتصف يوم الاثنين في حرم الجامعة عند المركز الثقافي

للطلبة كي تحصل على برنامج المحاضرات وامتحانات الفصل الدراسي .

وقع بصرها على اسم "جوناثان هيلي" ، كان قد حضر إلى "بورتموث" دون

أن يخبرها .

أحست بالاضطراب ، فالقت الأوراق على المقعد الخلفي لسيارتها ودخلت

المكتبة كي تعمل .

وبعد مدة انضمت إلى مجموعة من الطلبة الذين سبق أن سحرتهم بما حكته لهم

عن العالم الساحر الغامض البعيد ، المدفون تحت الماء ، والذي ستدريهم عنده .

كانت قد نسيت "جوناثان" مؤقتاً .

وبعد فترة تناولت الغداء مع "جيل" التي ظهر عليها الاكتئاب بعد عودتها من

الصين ، حيث تركت زوجها هناك .

وفي بداية فترة ما بعد الظهر عادت "سارة" إلى مكتبها ، ثم تذكرت مؤتمر

"جوناثان" ، بعد تردد قررت أن تطلبه تليفونياً . رفعت "جودي" السماعة ، وأخذت

تضحك عندما سألتها "سارة" إن كان "جوناثان" مشغولاً . أجابتها :

- نعم - كالعادة - ولكن بالنسبة لك موجود .

بعد عدة ثوان سمعت صوت "جوناثان" على طرف الخط :

- هل تم البيات الشتوي يا "سارة" ؟

- يمكن أن يحدث . قل لي ، لقد وقع بصري على اسمك بعد ظهر اليوم بين

قائمة المحاضرين في الفصل الدراسي وتساءلت ... ماذا .. ؟

- ألم أخبرك من قبل ؟ .. ومع ذلك أقسم ...

- هل أنت بالمنزل هذا المساء ؟

- نعم .. نعم .

- سأمر عليك .. إلى اللقاء .

وضع سماعة التليفون قبل أن يتيح لها الفرصة لتقول له " إلى اللقاء " .

اضطربت اضطراباً جماً من أعماله الفجائية ، حتى إنها لم تعد تستطيع

التركيز في النسخ التي سلمها لها الطلبة هذا الصباح .

ولكن لماذا تبدو متشككة هكذا ؟ مادامت تعرف أنه غارق في أعماله ؟ وإذا كان

هذا الشخص قد سيطر على تفكيرها إلى هذه الدرجة ، فلماذا لا تتخذه حبيباً

لها ؟ على أية حال فليس هناك ما يمنع ذلك .

ثم إنهما مستمران كصديقين حميمين .

نعم هذا كل ما في الأمر .

عندما اتصل بها في منزلها ، كانت الساعة تقترب من العاشرة ..

هجمت "سارة" على التليفون :

- ألو ؟

- "سارة" ؟ .. أنا "جوناثان" .

أرجو المعذرة .. لأن كل الناس يحدثونني في وقت واحد ، ولا أستطيع أن

أسمعك .

- مفهوم . ولكن بالنسبة لهذا المؤتمر ..

- إنني متأكد من أنني أخبرتك عنه مسبقاً ، والحقيقة أنني قد حللت محل

صديق اضطرته الظروف للاعتذار ، وطلب مني أن أؤدي له هذه الخدمة .

- أه .. حسناً !

- وفي الحقيقة أنني قبلت ذلك كي تتاح لي فرصة لقائك وأمامنا العديد من

المشاكل لابد من حلها ، مثل جدول المواعيد ، والفريق ، والأشياء المشابهة .

حسبت أن الأشياء المشابهة هي مكان إقامتها أو - على الأقل - هذا ما جال

بخطرها ، وفجأة وجدت نفسها تقول :

- لست مضطراً للقائي إذا كنت مشغولاً ، وأنا أقدر موقفك .

- هل أفهم من ذلك أنك مشغولة ؟

احمر وجه "سارة" خجلاً ، وقالت :

- لا بدون شك . متى ستصل ؟

- يوم الخميس بعد العمل . وسأنتهز فرصة سفر أحد أصدقائي بطائرتة

الخاصة وستهبط في قاعدة "بيز" الجوية ، حيث سيقوم بحل مشكلة مع

العسكريين ، وسينتبهز الفرصة - هو الآخر - ليعقد مؤتمراً .

- برفو .. إنك منظم للغاية .

- يخيل إلي أنك تتهكمين . هل ستدعيني للإقامة عندك ؟

صممت "سارة" فترة ثم قالت :

- كنت على وشك أن أقترح ذلك ، وسأنتظرك على العشاء .

وبينما أفكر في الأمر أرجو أن تعطيني رقم تليفون "روسيل" .. والآن ما دمنا

قد رفعنا من ميزانيتنا ، فسأحاول إغراءه كي يسمح لنا بإقامة قاعدة صغيرة

في جزيرة "النمر" .

اقترح عليها "جوناثان" قائلاً :

- حدثني عن المباني القريبة من الميناء ، ففي أحدها تم إزالة ورشة نسيج

مؤخراً ، وأعتقد أن مساحتها لا تزال خالية .

شكرته "سارة" ، وأعطته موعداً خلال الأسبوعين القادمين .

وفيما يتعلق بميناء جزيرة "النمر" ، فقد أصابتها الدهشة .

وبدا وكأن الجزيرة تشتمل على عدة مستودعات .

فتساءلت عن سبب ذعر .. "روسيل" من وجود العمال الذين يجوسون في

المنطقة ؟

وباختصار ، لم يبق أمامها سوى إقناعه بأن أعضاء الفريق سيقومون

معسكرهم في تلك المنطقة .

وسيتم تسوية كل شيء بسرعة .

الفصل السابع

كان "جوناثان" سعيداً ومسروراً من نفسه عندما ركب سيارة الموقع التي كانت تنتظره في قاعدة "بيز".

لم يكن هناك ما يسعده أكثر من أن يجد المشروع الذي أعده يسير وفقاً لما حدده من خطوات .

كان قد بدأ بوضع الميزانية وتنظيمها وفقاً لما طلبته "سارة" وقبل كل تعديلاتها ، والآن أصبح المطلوب هو الانتقال إلى الأمور الجادة ، وأن يراجع كل الأمور ، لأن بعض الترتيبات لم تجر حسب الاتفاق .

ثم هناك مؤتمره في "بورتموث" الذي لم يأت من فراغ فقد اتصل برئيس جامعة "جورهام" كي يجعله يدعو ، وأن يخطر "سارة" بذلك .

اتبع التخطيط الذي أعدته "سارة" وقد علت الابتسامة شفقيه .

كان في رأيه أن الدكتورة الساحرة "بايرز" كانت على استعداد لتقبل وجود رجل آخر في حياتها ، وبقي أمامه أن ينسيتها أحزانها وخوفها وشكوكها .

كان الطريق خالياً تماماً ، حتى خشي أن يكون قد ضل الطريق ، فالتقى نظرة على عداد السرعة كي يتأكد من أنه لم يتجاوز الكيلو مترات التي حددتها "سارة" ، فوجد أن أمامه كيلو متراً أو اثنين .

لقد وصل إلى الطريق الضيق المتشابك عن يمينه ، ووجد صندوقاً عليه عدة أحرف حمراء كان المنزل وسط الغابة ويلقي بأضوائه على الأشجار التي يغطيها الضباب والثلج .

وقف محرك السيارة كي يقف بالسيارة دون إزعاج على بعد أمتار من المدخل الذي بدا محفوراً في الأرض ، وقد وقفت أمامه سيارة "جيب" من أحدث طراز .

كان المنزل على الطراز "الجورجي" . له نوافذ صغيرة عليها قضبان صغيرة من الحديد تطل على قاعة الطعام .

رأى مائدة مقامة وكأنها معدة لاستقبال حفل كبير ، وقد رصت عليها أدوات المائدة من "الكريستال" و"الخزف الصيني" و"الشمعدانات" المصنوعة من الفضة اللامعة ورأى على اليسار حجرة المعيشة ، حيث كانت نيران المدفأة مشتعلة . كان المكان يبدو رائعاً وقد امتلأ بالأثاث العتيق وبالتحف التي كانت تثير حسد هواة جمع التحف .

سمع أحياناً شجيرة تأتي من غرفة المعيشة عرف على الفور أنها من موسيقى "باخ" .

أما الشيء الوحيد الشاذ عن هذا الجو الكلاسيكي فكان "سارة" نفسها . كانت ترتدي "الچينز" و"سووتر" من "الكشمير" ، وقد مشطت شعرها في تسريحة ذيل الحصان .

وضع "جوناثان" أمتعته وقد أحس ببعض الغربة .

كانت الموسيقى الحاملة والنيران في المدفأة وضوء الشموع الخافت ، تبدو وكأنها رقت خصيصاً من أجل إغوائه ولكن "سارة" كانت تتجول في بنطلون "چينز" وقد انتعلت حذاء عتيقاً .

وفي اللحظة التي أعد نفسه كي يقبلها ، مدت له يدها قائلة بصيغة شبه رسمية: - أعطني معطفك .

نفذ أمرها ، وأخذ يفحص بعض الورود المنحوتة على إناء بجوار صوان المعاطف .

- هل هذا جزء من مجموعة "تحف" زوجك ؟

- نعم .. أما الجزء الأكبر من مجموعة "هومير" فسيضم قريباً إلى متحف جامعة "جورهام" ويتم الآن تصويرها .

هل تحب أن تشاهد المنزل أم نذهب لحجرة المعيشة لتناول الشراب ؟

وسيتيم إعداد العشاء خلال ربع الساعة وسأحضر لاصطحابك .

عادت ثانية إلى المطبخ ، وقد تركت "جوناثان" في البهو المطل على المدخل . فصب لنفسه كأساً وهو يحلم .

كانت "سارة" رائعة ، وهي ترتدي "الچينز" وصارت أكثر جمالاً مما كان

يتخيلها في ذاكرته .

فكرت أنها إذا لم تكف عن معاملته وكأنه عم عجوز لها فإنه سيجد صعوبة في الامتناع عن مداعبتها ، عندما دخلت " سارة " المطبخ أمسكت كأساً نصف مملوءة بالشراب ، وشربتها دفعة واحدة .

وكان " الجينز " و " السويتز " هو الزي الرابع الذي غيرته .

كان " التاير " الذي ارتدته للذهاب للجامعة مرتفع الياقة .

أما ثوب " الكوكيتيل " المصنوع من الحرير فكان أنيقاً للغاية ، في حين كانت " البيجامة " المصنوعة من الكشمير ذات الياقة العريضة مغرية وجذابة وأخيراً انتهى الأمر بارتداء " الجينز " .

كانت قد قررت أن تستقبل " جوناثان " كما كانت تستقبل المدعوين من أصدقاء " هومير " .

كانت تحب المائدة المعدة بأطعم الطعام الجميلة مع الموسيقى الكلاسيكية ، ولم تكن تنوي أن تغير عاداتها .

كانت قد انطلقت في الضحك عندما تذكرت منظر وصول " جوناثان " وما حدث من لبس ما بين القبلية والمعطف .

لقد بدا كل شيء على ما يرام .

عندما انضمت إلى " جوناثان " في حجرة المعيشة كان قد خلع سترته ورباط عنقه ، وقد أمسك كأساً من الشراب في يده وهو يقرأ الجريدة .

كانت حقيبة أوراقه مفتوحة فوق المائدة المنخفضة ، وقد ظهرت نسخة من مشروع " سارة " .

قالت وهي على الباب :

- العشاء معد !

استدار إليها وقال :

- تعالي هنا ، واقرئي هذه المقالة هل تعلمين ماذا تقول ؟

تقدمت حتى الأريكة ، وقرأت العنوان من خلف كتفه .

- العثور على حطام سفينة قديمة جداً .

- لقد اتصل بي صديق من " فلوريدا " بشأن هذا الموضوع ، إن " الهلب " المصنوع من البرونز - الذي عثر عليه بعض الهواة - مماثل لذلك " الهلب " الذي استخرجه " جورج باس " من مياه تركيا الإقليمية منذ بضع سنوات مضت .

ويدعي البعض أنه ليس " هلباً " وإنما هو مجرد حجر ، بينما البعض الآخر يرجع أصول " الهلب " إلى البحر الأبيض المتوسط ، ولا أتفق معهم في هذا الرأي .

وفي رأيي أنه أتى من نفس المنطقة وليس مصادفة أنه اكتشف في نفس طريق الجرار الفخارية .

طوى " جوناثان " الجريدة ، ووضعها داخل حقيبته .

ثم قال وهو ينهض :

- خسارة أنه يقع بالقرب من " كوبا " .

ذكرته " سارة " :

- ولكنه لا يزال يقع في المياه الإقليمية " .

- هذا تفسيرك ، ولا شك أن لدى " كاسترو " تفسيراً آخر . ابتسمت " سارة " فجأة ، ولم تقاوم رغبتها في مداعبته :

- أتمنى أن نغودك يقف عند " هافانا " يا سيد " هيلي " ولا تستطيع أن ترفع سماعة التليفون وترتب لي مهمة غطس صغيرة تحت نظر " القائد الأعلى " ..

وأنا التي ظننت أن " فيديل " كان يداعبك على ركبتيه عندما كنت صغيراً .
- فعلاً ، وماذا بعد ..

- أرجو أن تكف عن اعتباري سانحة .

- لقد قابلته بالفعل من حوالي أربعة أشهر ، وهو يقوم برحلة وطلبت منه الموافقة على مقابلة عميل مهم بالاستثمار في " كوبا " عند تطبيع العلاقات معنا .

لقد استمع إلي وطلب أن أزره في " كوبا " في الربيع ، ولدى " جيرى لينش " - وهو أحد شركائي - خبرة أكثر مني بالحكومات الشيوعية وأفكر في أن أترك

المهمة له . هل هذا يدهشك ؟

- لا .. بل يضايقتني .

أرادها أن تعفو عنه ، فأمسك بذراعيها وقادها إلى غرفة الطعام ، وقدم لها مقعداً بطريقة دبلوماسية ، لمست أصابعه ظهرها، تنبتهت "سارة" في الحال ، غيرت الحديث إلى أول موضوع طرأ على بالها :

- بمناسبة هذه التغييرات التي طلبتها تليفونيا ...

ولكنه كان قد ابتعد بالفعل ناحية البهو .

- لقد نسيت أنني أحضرت لك زجاجة فاخرة من قبو "مارينجو" وهل

يضايقك لو بدأنا العشاء بهديتي ؟

ردت وقد بدت عليها العصبية :

- لا . لا . إطلاقاً !

نظر إليها بطرف عينيه قائلاً :

- من الأفضل لك أن تهدأ أعصابك بعض الشيء وأخرج "جوناثان" الزجاجة من حقيبته وهو يبتسم ، كان تصرف "سارة" يسعده كثيراً .

وعند عودته إلى قاعة الطعام وقف بجوار قاطع التيار الكهربائي وأطفأ النور وأشعل الشمعات بولاعته . قال :

- نحن بحاجة إلى هذا حتى نشيع جواً عاطفياً ، وبعد هذا اليوم الحافل الذي قضيته ، لا أقبل أن أفسد هذا العشاء بتلك المفاوضات التي لا تنتهي ، إذ يمكن لها أن تنتظر .

صمت برهة ثم أضاف متسائلاً :

- الآن حدثيني عن المنزل . ما تاريخ بنائه ؟

كانت هذه الأحاديث التمهيدية تروق "جوناثان هيلي" تماماً لكن التفكير في المشروع جعلها عصبية في تلك اللحظة هاجمته "سارة" :

- حسناً . دعنا نتحدث عن أمور عامة . هذا المنزل يرجع تاريخه إلى بداية القرن التاسع عشر .

وهو مكون من ثلاث حجرات بكل طابق ، ولكني أستخدم إحداها كمكتب ، وتبقى

حجرتان إذن : واحدة لي والأخرى ..

ثم سألته فجأة :

- أيهما تفضل ؟

كان "جوناثان" يفتخر من "السلطة" ، وقد فاجأته بهذا السؤال ، فتصلب وقد أمسك بالمنشفة في الهواء .

ثم وضع بعض أوراق "السلطة" في طبقه وهو يبتسم :

- هل تودين بعض "السلطة" يا "سارة" ؟

- نعم . وشكراً ... ولكنك لم تجب عن سؤالتي .

اتسعت ابتسامته :

- الحجرة التي بها السرير الأكثر راحة .

- السريران ممتازان .

- إذن هذا يعتمد على كرم ضيافة المضييفة . هل تريدين لحمًا ؟ أم مكرونة ؟

- ليس الآن . إنك تجيد التهرب بطريقة لا تصدق يا "جوناثان" . أجب عن سؤالتي ! انطلق "جوناثان" في الضحك .

- حسناً ما دمت تصرين . ساكشف لك عن "الاستراتيجية" التي وضعتها قبل الوصول إلى هنا إنني معجب بك ، وأنت تعرفين ذلك ، وقد رأيت أن أضم مسلكي إلى مسللك .

وأقل ما يمكن أن يقال عنه ، انك لا تعطين انطبعا بأنك واضحة حول هذا الموضوع . حسناً والآن اعذريني لأنني أشعر بجوع قاتل . وأعتقد أن بإمكانني أن أبتلع كل ما فوق المائدة ، بما في ذلك هذه الشمعات التي لا تجددين الشجاعة على إشعالها ، احمر وجه "سارة" خجلاً وتهدت ، ثم أخذت تاكل بشهية .

تحدثا عن المنزل وعن عملهما ، قال "جوناثان" :

- أولاً فيما يتعلق بارتباطي بجامعة "جورهام" ، كنت في حاجة إلى ساعتين كي أفكر قليلاً حول ما سأقصد عليهم ، وحتى الآن لم أحصل على دقيقة فراغ .

ضحكت "سارة" ضحكة خفيفة :

- وأنا التي كنت أظن أنك ستقضي الليل بأكمله وأنت تقص علي قصص الغزل.

- بعد الأسبوع الذي مر علي ، سيصبح ذلك أمراً عسيراً ولكن لن أطلب أكثر من المحاولة ...

أحست بالخجل ، واستدارت فجأة ثم دار الحديث بعد ذلك حول الموضوعات الأكثر براعة .

وبعد انتهائهما من تناول الطعام ، أرسلت "سارة" "جوناثان" إلى حجرة المعيشة ، بينما أعدت "الطوب" والقهوة ، وعندما عادت إليه ، كان قد زاد من وهج النار في المدفأة ، ثم استدار نحوها قائلاً :

- أعتقد أن اللحظة قد جاءت كي نتحدث عن مشروعنا ؟

كان العشاء الذي تناولته "سارة" قد ساعدها على الاسترخاء ، ورغم ذلك أحست بمعدتها تتقلص .

جلست على الأريكة بجواره وكان يضع نسخة من المشروع على ركبتيه وقال :

- هذه هي الأفكار التي أوحى إلي بها المشروع الجديد .

وسيكون من الرائع لو اكتشفت حطام السفينة خلال ثلاثة أشهر يا "سارة" وإلا ... حضرت إلي يوماً ما وعلى فمك ابتسامة وقلت لي :

- أخشى أن أكون قد أسأت تقدير قيمة المشروع يا "جوناثان" ، ولكننا لانستطيع أن نتخلى عنه الآن ، فقد أنفقنا الكثير من المال ونشرنا حوله دعاية واسعة .

وعليك الآن أن تواجه ضرورة مد الدعم "وأقول الحق إن ذلك لا يسعدني أبداً ..

- أعترف بأن أرقامتي كانت على أساس الحد الأدنى من العوائق ولكن مشروعي قد تحقق تماماً .

- هل تعرفين يا "سارة" المثل القائل "الترزي الحاذق يقيس مائة مرة ويقص مرة واحدة" ! عليك أن تضعي ميزانية ضخمة وتنفقي منها القليل .

- إذا لم نجد أموالاً فسنحزم أمتعتنا ونعود للوطن .

- هذا الاحتمال ليس في الحسبان أبداً .

أخذ يتطلع إلى صفحة أو صفحتين :

- لماذا - بحق الشيطان - أنت في حاجة إلى جهاز حفظ لمدة خمس سنوات .

افتراضي أنه ليس لديك ما يحتاج إلى الحفظ ؟

- مستحيل . ومن ناحية أخرى ، فإن صديقتي "جيل" تعمل مع الخبير

"المكسيكي" في التعرف على الأشياء ، وستشتغل بالقاعدة ، وستنقل ما سنعثر عليه إلى "المكسيك" حتى يتم فحصه بالكربون و الكوارتز .

- حسناً .. موافق . ولكن لماذا تريدان عالمي طبيعة وكيمياء ؟

في هذا المجال يمكنك استخدام أحد العلماء يجمع بين التخصصين ، إلى جانب إخصائي الأحياء والشخص المكلف بإعادة ترميم الأشياء ابتداء من جمع

القطع والشرائح وتصويرها ، وكذلك إخصائي الجيولوجيا .

كانا يتناقشان خطوة بخطوة ، وأخذت "سارة" تحس بالعصبية وهي مقتنعة بأن "جوناثان" يتجاوز حقوقه ويتعدى على مملكتها .

- إنني - يا "سارة" - الذي سيجمع "الأواني المكسورة" إذا حدثت وعاتت البعثة بخفي حنين . لقد طلبت مني أن أشرف شخصياً على المشروع وقبلت .

وأنا أخذ الأمور بجدية ، وأؤدي دوري على أكمل وجه ، والمفروض أن يسعدك هذا .

تجهمت وقالت :

- لو كنت مكان "هومير" لأرسلتك إلى الجحيم منذ وقت طويل .

- لو كنت مكان "هومير" لذهبت بنفسني إلى الجحيم ، ولكن ما فائدة البحث عن المستحيل ؟ هيا بنا ننتهي يا "سارة" .

واستأنفا مباحثاتهما ، وعندما اتفقا كان الليل قد انتصف .

قبل "جوناثان" أن يمنحها المزيد من الأموال في مقابل ما وافقت عليه "سارة" من تخفيض عدد العاملين والاستغناء عن بعض الأهداف .

ولما كان كل شيء قد تم ، أصبح يبدو من الصعب أن تستعيد دور المضيفة الكاملة . لقد جعلها "جوناثان" تمر بربع ساعة سيئة من المؤكد أنها لم تكن

حانقة عليه ، لأنه كان يقوم بادائه لعمله على أكمل وجه ولكن ذلك لم يعد يقربها منه بعد ذلك .

وكانت الطريقة التي قالت له بها :

- "إنني سأرشدك إلى غرفتك " ليست مشجعة بالمرة ، رتب ملغاته ثم تبعها ، وعندما وصلت إلى الباب قالت بصوت رتيب :

- هناك أغطية إضافية في الصوان ، وكذلك مناشف الوجه . لدي محاضرة في التاسعة صباحاً وأعتقد أن بإمكاننا أن نرحل معاً .

شكرها "جوناثان" ثم وضع يده فوق كتفها . قالت :

- لقد كنت طيباً للغاية هذا المساء . وحصلت مني على فائدة لم أكن أفكر في إمكان منحها لك .

- أضحیح هذا ؟

جاءت إجابتها مصحوبة بابتسامة مقتضية :

- شكراً على المجاملة . والآن سأذهب لغسل الأطباق قبل أن أذهب للنوم .

- حسناً ، إذن تصبحين على خير .

ثم قبلها فوق خدها هزت رأسها واستدارت بعيداً عنه وخرجت مسرعة .

أغلق "جوناثان" حقيبته أوراقه وهو مسرور وغير راض في آن واحد .

ملأت "سارة" في المطبخ ماكينة غسيل الأطباق ومزاجها معتدل . كان لديها شعور بأنها تتصرف على عكس إرادتها . ومن الناحية العملية فإن الساعة

ونصف الساعة التي قضتها في المناقشة مع "جوناثان" قد ساعدتها كثيراً . لقد أصبح لديها الآن فكرة أكثر وضوحاً عن البعثة وعن المسؤوليات التي

تتولاها والتي أصبحت أكثر واقعية . ثم كيف لها أن تشكر "جوناثان" على خدماته الجادة والمخلصة ؟

هل يكفي ذلك الحديث القصير حول الأغطية والمناشف ؟ من المؤكد أن هذا الرجل مثال الصبر .

بعد أن أخذت "حماماً" وخرجت من (البانيو) ألقت نظرة متوجسة ناحية حجرة "جوناثان" في المرمر . كان النور مضاء . إذن فهو لا يزال مستيقظاً ظلت

عشر ثوان أمام الباب قبل أن تقر أخيراً أن تطرقه . أصدر الباب صريراً وسمعته يقول :

- دقيقة واحدة .

عندما فتح لها الباب كان يلبس "بنطلون بيجاما" لونه رمادي ولا شيء آخر .

أفسح لها الطريق كي تمر وألقت نظرة سريعة شاملة ، فلاحظت أن الوسادتين مقلوبتان والسرير غير مرتب ، وقد امتلأ بالأوراق والكتب .

وكان من الواضح أنه هو الآخر أخذ "حماماً" ، فقد كان شعره مبتلاً وتفوح منه رائحة الصابون .

كان جسمه رياضياً وقوياً لدرجة مذهلة ، وكان ذلك ظاهراً من عضلات خصره وصدره البارزة ومن أنفاسه العميقة . أسرعت الدماء في شرايين "سارة" .

وقالت له :

- أود أن أقدم لك أسفي . ويبدو أن لدي مشكلة في عدم استطاعتي الفصل ما بين علاقاتنا المهنية والشخصية وبدلاً من أن أظهر امتناني لكل ما فعلته من

أجلي ، أظهرت ضيقي وأصبحت لا أطاق . أرجو أن تعذرني .

ابتسم "جوناثان" وقال :

- إن النساء دائماً غير معقولات ، وفيما يخصني فإنني لا أنتظر سوى أمر واحد منك :

أن نفعلي ما أطلبه . كانت تعرف أنه يمازحها ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من رد الفعل العنيف :

- لحسن الحظ إنني أعرف أنك لست جاداً في كل ما تقول ، وإلا وجدت نفسك تنام وسط الثلوج في الخارج فتقدم منها خطوة وقال :

- من قال لك إنني لست جاداً فيما أقول ؟ على أية حال إنني لم ألق أية متاعب في معاملتي للرجال .

لم تتحرك "سارة" .

- حسناً ! لقد قدمت لك اعتذاراتي ، والوقت أصبح متأخراً يا "جوناثان" .

تحرك خطوة أخرى نحوها ، وأمسك بخصلة من شعرها ، ثم لفها حول إصبعه

فقطبت جبينها .

همس 'جوناثان' .

- إنني أحب رائحة معجون أسنانك . فهل بإمكانني أن أتذوقه ؟

كانت تنتظر منه ذلك . فماذا يمكنها أن تفعل إذن في هذه الساعة غير المتوقعة وفي تلك الحجرة مع ذلك الرجل ؟ خاصة وأنها وقعت في أسر العاطفة .

- هناك أنبوية منه في حمامك ، إنه بطعم النعناع .

- نعم ولكنني لا أريد أن أتذوقه هناك ...

كانت نظرتة شديدة الإلحاح ، حتى أحست بأنها تحرقها بعد أن اخترقت قميص نومها .

لم يسبق له أن عبر عن رغبته القوية بمثل هذه الجراءة .

قاطعته وهي تتراجع بسرعة :

- تصبح على خير .

لم يجد أمامه سوى أن يمد ذراعه ويمسك بها ثم يجذبها نحوه ، وعندئذ أخذ وجهها بين يديه وقبلها بحنان وبطء قبل أن يرفعها ثم يضعها أمام الباب ، وقال لها :

- تصبحين على خير .

ساد بينهما صمت ، وخرجت من الحجرة . إنه يشتهيها ، ولكن ذلك لم يمنعه من السيطرة على نفسه ، كانت أعصابه وإرادته من حديد .

هل من الممكن أن ينهار هذا الرجل ؟ كانت قوة تأثيرها عليه تبدو ضعيفة .

خلع 'جوناثان' ملابسه في حجرته ، واستلقى فوق السرير كان من الظاهر أن 'سارة' قد كشفت عن رغباته وآلامه النفسية ، ولكن في هذه اللحظة انتصر شكه وتمنعه ، لقد حان الوقت للتغاهم بينهما وأخيراً فتح أحد الكتب الموضوعه فوق الأغطية .

الفصل الثامن

بعد أن انتهت 'سارة' من محاضرة الساعة التاسعة ، ذهبت إلى كلية الدراسات التجارية العليا وهي تحس بفضول لرؤية 'جوناثان' وهو يعمل . كان هدف المحاضرة إعطاء فكرة للطلبة عن إمكانات الأسواق قبل أن يوزعهم على مجموعات عمل صغيرة في يومي الجمعة والسبت بعد الظهر .

لح 'جوناثان' 'سارة' فور دخولها قاعة المحاضرات ، فابتسم لها . فردت على ابتسامته ، ولكن نوبة الحرارة التي اجتاحتها ضاعت وسط حرارة القاعة . كان من المفروض أن تنتهي المحاضرة عند منتصف النهار ، ثم يتناول 'جوناثان' طعام الغداء مع زملائه وكان غير مشغول في فترة ما بعد الظهر ، قبل موعد الكوكتيل ، ثم يتناول العشاء عند 'العميد' الذي كانت 'سارة' مدعوة لديه هي أيضاً .

كان من الواضح أن 'جوناثان' محاضر بارع ومؤثر .

وعندما انتهى من محاضرتة ، أخذت عيناه تبحثان عن 'سارة' التي أشارت إليه عن بعد برأسها كي تعبر له عن إعجابها به .

عادت بعد ذلك إلى مكتبها وهي أسفة كي تعمل مع طلبتها ، ووجدت 'جيل' تتجول في معملها وكانت تستند إلى إحدى الموائد وهي تتحدث في التليفون . وسمعتها تقول :

- اسمعي يا أمي .

إن أفضل ما تفعلينه هو أن تحضري إلى 'المكسيك' كي تقابليني .

وأرجو المذرة لأنني مضطرة للذهاب الآن ، حيث إن مديرة المعمل قد حضرت ... وأنا كذلك أرسل لك قبلة .. إلى اللقاء .

قالت 'سارة' عندما انتهت 'جيل' من المكالمة :

- شكراً للترقية .

بدأت 'سارة' في تناول غداثها ، وكذلك فعلت 'جيل' .

كانت "جيل" شقراء صغيرة وبديئة ، ولها عينان خضراوان وكان ينظر إليها دائماً على أنها طالبة .

- أرجو العذرة ، لأنني إن لم أستعمل هذا الأسلوب مع أمي لما استطعت إنهاء المكالمة قبل ساعتين على الأقل وبعد .. قصي علي ما حدث بينك وبين "جوناثان" ؟

كانت "جيل" الوحيدة التي كانت على علم بالمفاوضات مع "جوناثان" مهما حاولت أن تخفي عنها عواطفها السرية .

والشيء الوحيد الذي كانت تجهله "جيل" هو جدول المواعيد السري للغاية والخاص بالبحرية ، حيث وجدت "سارة" أن الوظيفة التي تشغلها لا تسمح لها بذلك .

- حسناً .. سنصل إلى اتفاق شيئاً فشيئاً ، ولكن هناك بعض النقاط الغامضة بالنسبة للفريق .

وأخيراً فإنني أعتقد على أية حال أنني قد استترت كثيراً حول الموضوع . قالت "جيل" وهي تبتسم :

- بالمناسبة .. لقد مررت هذا الصباح على كلية الدراسات التجارية العليا . لم يظهر العزيز "جوناثان" أنه بارع فحسب ، ولكنه أيضاً جميل ووسيم وكأنه أحد آلهة الإغريق . إنك لم تخبريني عن ذلك يا "سارة" ، بالمناسبة هل تخفين عني شيئاً ؟

اعترضت "سارة" وهي منهكة في تناول "الساندويتش" :

- هل تعتبرينه وسيماً ؟ لم ألاحظ ذلك شخصياً .

- يا "سارة" !

انطلقت "سارة" ضاحكة .

- حسناً ، حسناً .. إنني أتفق معك . لقد لاحظت ذلك .

ولكن العكس صحيح بالنسبة لي ، فهو لم يعرني أي انتباه ، أنتصويرين هذا ؟

إننا لا نكف عن الدوران حول بعضنا البعض ، وكأنا مصارعان فوق حلبة المصارعة . على الأقل أجد نفسي حذرة معه دون أن أتعهد ذلك .

وعلى أية حال إنني لا أصل أبداً إلى تقرير ما أريده .

- حسناً ! أرسله لي ، فإنني أشعر بالجنون لأنني وحيدة هذه الأيام ...

- يا كاذبة! ... لا يوجد - بالنسبة لك - من هو أكثر وسامة وذكاء من عزيزك "ديفيد فيرجسون" وإنني لأتساءل : ماذا تصنعين كي تظهرين هكذا ؟ هل هو حلم بالنسبة لك ؟

اعترضت "جيل" قائلة :

- امنحي لنفسك فرصة . لقد أعطيت في زواجك كل شيء لـ "هومير" دون مقابل . وقد أن الأوان أن تستأنفي حياتك بقدم ثابتة .

وقضت قطعة من "التفاح" ، واستأنفت حديثها :

- إذا كان "جوناثان" مهلياً يعجبك ، فانتهزي هذه الفرصة ولا تضيعيها . هزت "سارة" رأسها وقالت باستخفاف :

- إن "جوناثان" لا يأخذ علاقتنا مأخذ الجد ، وهو أمر لا بأس به .

- فهمت .. إنك تريدين تغيير الموضوع وبهذه المناسبة أخبريني إلى أين وصلت المفاوضات من أجل القاعدة التي يجب أن نقيمها في جزيرة "النمر" وأحب أن يلحق بي والداي هناك في عيد الفصح .

قطبت "سارة" جبينها :

- في فندق "روسيل" كل شيء لا بد من تأجيله ومن جهة أخرى فإنه لم يعطني الإشارة الخضراء .

- وهو لم يرفض في نفس الوقت .

- ولكني لم أستطع الاجتماع به . وفي رأيي أنه لا يجرؤ أن يقول صراحة ليس لـ "جوناثان" وإنما يفضل أن يتركنا للشيطان .

- إذن اجعلي "جوناثان" يتدخل ، لأنك تعرفين أن إنشاء قاعدة بعيدة سيضاعف من التكاليف .

وعدها "سارة" بتبني اقتراحها ، وسارعت بالعودة إلى منزلها ، فوجدت "جوناثان" أمام المنزل وقد ارتفع الثلج حتى ركبتيه .

كان يرتدي بنطلوناً من "الچينز" وحذاءً ذا رقبة ، ولبس معطفاً ضد المطر .

كانت الابتسامة تملو شفثيه وهو يلوح إليها بحركات سريعة ..

- هيا تعالي ساعديني ... إنني أعشق هذا المكان .

لم تتذكر "سارة" آخر مرة لعبت فيها بكرات الثلج ربما يرجع ذلك إلى أيام أن

كانت طالبة وقبل أن تنتهي علاقتها مع "هومير" إلى الزواج .

- لا بد أولاً أن أبدل ملابسني .

- أنا في انتظارك .

ظهرت مرة ثانية وهي ترتدي معدات التزلج على الجليد .

كان "جوناثان" يلعب بإلقاء كرات الثلج على إحدى أشجار البلوط .

صاح عندما رآها :

- ها هي نبي سيدة الجليد ! هل تعرفين أن مكانها يقع على بعد ثلاث خطوات

خلف الرجل .

- حقاً ! وكم يكون متوسط طول خطوة سيدة الجليد ؟

- متراً بالنسبة للرجل ، وستين سنتيمتراً بالنسبة للمرأة . إنها أصغر منه وأقل

منه قوة ، وكذلك أقل منه ذكاءً ، ولكنها في نفس الوقت أذكى منه ، لأنها تطلب

حمايته ومن المفهوم أن ذلك لا ينطبق على كل الجنس البشري .

- من الواضح أنك لن تجرؤ ..

اقترب من شجرة الصنوبر وهو يصفر ويجمع بعض الثمار والأغصان ، بينما

انشغلت "سارة" في عمل تمثالي رجل وامرأة من الثلج .

وأخيراً أخذاً يتأملن عملهما وقد لهت أنفاسهما من التعب والإعجاب .

قال "جوناثان" .

- والآن .. ماذا بعد ؟

نظر إلى "سارة" نظرة ذئب جائع ، فتنهدت :

- بصراحة إنني خائفة بعض الشيء مما تخفيه خلف سؤال وماذا بعد ؟

أمسك ذقنها بيده التي يرتدي القفاز فوقها وقال :

- بعد ذلك نلعب لعبة . أنت تختفين في القلعة وأنا أهاجم .

لم يكن صوته يملو عن الهمس ، بينما اقتربت شفثاه من شفثني "سارة" .

فكرت "لا ... إن الرجل الذي ينظر إلى المرأة بهذه الطريقة لن يضيع دون شك

وقته في لعب لعبة رعاة البقر والهنود الحمر .. لا شك أن هناك خطة هجوم

خفية .

- لاشك أنك تلاحظين أنني قد تركت لك ميزة إعطائك القلعة ، وإذا لمستني ،

فسأترجع ، وإذا لمستك فسأنتقدم .. موافقة ؟

- موافقة !

ووضعت ذراعيها في خصرها وقالت له :

- وماذا أجنبي لو ربحت أنا المعركة ؟

تظاهر بأنه لم يسمع السؤال .. وأكمل :

- وفي النهاية ستضطرين دون شك أن تستسلمي ، وإذا وضعنا في الاعتبار

قوتك البدنية ، فهو أمر محتم وأحب أن أحذرك مقدماً ، فإن الهنود الحمر في

هذا الجزء من البلد لا يعرفون الرحمة وهم رجال جليد مدنسون ومغتصبون

نساء .

طبع قبلة خفيفة على شفثيها وأكمل .

- ولقد شوهدوا وهم يسحبون النساء المجندات خارج قلاعهن ، للاستفادة منهن

على الأرض المفتوحة ، وكل مقاومتهن تصبح بلا طائل .

طبع قبلة ثانية خفيفة ، فأغلقت "سارة" عينيها وأحست بأنفاس "جوناثان"

الدافئة والرطوبة على وجهها ، ولكنه لم يتجاوز حده . أخيراً تركها ورجع خطوة

للخلف ، وعندما فتحت "سارة" عينيها ضببطت ابتسامته لاذعة على وجه

"جوناثان" فأقسمت أنه لا بد أن يدفع ثمنها في الحال .

وأخذت قبضة من الثلج المكوم على رجل الثلج الواقف أمامها ووضعتها في

جيبيها ثم استدارت ناحية "جوناثان" وقالت له :

- أرجوك يا "جوناثان" ! ... ليس لدي الرغبة في اللعب بعد ذلك . وأرجو أن

تصحبني إلى المنزل .

- افعلي بي ما تشائين يا عزيزتي .

أخذها بين ذراعيه ، ودفن وجهه في عنقها وقال :

- إنني أحس وكأن الجو قد أصبح استوائياً .

سرت حرارة لذيذة في رقبتها من لمس شفتيه وانتقلت بعد ذلك إلى كل جسدها . وكان يجب عليها أن تركز تفكيرها على تنفيذ عملية الانتقام .

فنطقت اسمه بصوت هامس ، وأدخلت يدها العارية داخل معطف المطر ، كي تدلك ظهره وصدره . وكانت القبلات السريعة التي أمطر بها رقبتها قد شغلته بعض الوقت عن هدفها .

ولكنها كانت عنيدة إذا صممت على شيء ، فغمغمت وهي تشد السويتر كي تنزعه عن البنطلون "الچينز" .

- إنك تجعلني كالمجنونة ! .

وكانت إجابة "جوناثان" غير متوقعة ، إذ قبل خدها وأخذ يبحث عن فمها ، بينما أخذت يد "سارة" تزحف نحو جلده العاري ...

وفجأة صرخ صرخة عالية ، عندما أحس بشيء بارد ومبلل قد التصق ببطنه بينما كان يقفز بشدة ويهز "السويتر" ، ولم تتمالك نفسها من الضحك ، سألته وهي تشهق :

- هل تتألم ؟ في الحقيقة يا "جوناثان" فإنه بالنسبة للعبتك "الهنود ورماعة البقر" ...

وكانت تضحك عالياً حتى اضطرت للتوقف عن الحديث .

قال غاضباً :

- اتفقنا .. إن الهنود يواجهون مشكلة ، ولكن الحرب هي الحرب يا صغيرتي والهجوم المضاد لن يتأخر .

اقترحت "سارة" عليه أن يبدأ من الأول :

- إنك أنت الذي وضعت قواعد اللعبة ، وأنت الذي انتهكتها ، وهذا أمر سيئ ، ولقد تلقيت عقابك .

والآن دعنا نشيد القلعة ، كما أريد أن أعرف ماذا سأجني عندما أصدك ؟

بدأ العمل معاً في إنشاء القلعة الثلجية وسألها "جوناثان" :

- ماذا تطلبين كجائزة ؟

- قالت مائة ألف دولار إضافية من أموال "مؤسسة هيلي" .

- اتفقنا ، وذلك مقابل تقديم باقة من الورد كل يوم اثنين حتى موسم الربيع .

- حسناً . وما الذي ستحصل عليه لو أنك ربحت ؟ قبله ؟

- إنها قبله غالية .

- الرجل المهذب لا يناقش الثمن .

- إنني لا أناقش .

عندما قامت المعركة بعد أن جمعا مخزونا كبيراً من العتاد ، أخذ كل منهما يدافع عن ساحته بحماس .

ولما كانت "سارة" متدربة على الرياضة وعلى الغطس ، فقد أظهرت براعة أمام "جوناثان" وعرف أنه من الصعب التغلب عليها .

ولكنهما نسيا قواعد الكر والفر أخيراً ، وأعلنا الحرب الشاملة .

وكانت "سارة" تحتمي خلف جدارها الثلجي وقد اختفت تماماً بحيث أمكنها خداع "جوناثان" ، وعندما بدأت تحركها في القلعة كي تقيم استحكامات ، هجم مباشرة على الجدار الذي انهار في الحال .

ولم تغلح محاولة "سارة" للهروب ، حيث أمسك بها "جوناثان" بعد بضع قفزات ، من أسفل سترتها فتحت (السوستة) ، فانتزع السترة ، وأصبحت حرة كما يحدث في أفلام السينما .

ولكن لسوء الحظ لم يفلح ذلك ، فقد أمسكها من خصرها ورفعها كالريشة في الهواء ووضعها فوق كتفه ، تماماً كما فعل "روبرت ميتشوم" مع "مارلين مونرو" في فيلم "نهر بلا عودة" .

أخذت تصارع ، وهما متجهان ناحية المنزل ، وحاولت أن تضع قدميها على الأرض ، ولكن "جوناثان" كان شديد الصلابة . فقال :

- خذي الأمر بروح رياضية يا "بايرز" ، لقد هزمت بالضربة القاضية .

- إطلاقاً ! لقد كنت مستمراً في التقدم رغم أن كراتي كانت تصيبك ، وهذا ضد القواعد .

- الحرب خدعة يا عزيزتي المسكينة .

وضعها في تلك اللحظة فوق أرض مغطاة بالجليد الطازج ، ثم ألقى بنفسه بجانبها ومد ذراعه كي يمنعها من الهرب .

- والآن .. يجب عليك الدفع يا عزيزتي . هل لك أمنية قبل البروفة النهائية؟

- على أية حال أريد أزهارى ..

- اتفقنا .

خلع قفازيه ، وأخذ يجري بأصابعه على وجهها الذي كان ينظر إليه بتمعن . لم تعد هناك جدوى من المقاومة . ولماذا المقاومة ؟ إنها تحس بالسعادة .

همس في أذنها قائلاً :

- في رأيك ... هل أقبلك ؟

أجابته وهي تغلق عينيها :

- نعم ! أرجوك .

طبع قبلة خفيفة كالريشة فوق شفيتها ووجهها وشعرها .

قالت بسخرية :

- لقد وعدت بأفعال عنيفة إذا انتصرت ، ولكنني أجرك الآن مهذباً للغاية .

- هذا يرجع إلى تربيته البريطانية .

ثم انقلب على ظهره وجذبها ناحيته ، فوجدت نفسها بين ذراعيه ، قالت له بعينين شبه مغلقتين :

- أنت تعرف أن بإمكانك أن تفعل بي ما تشاء .

اندفعا في عاطفتها ونزوتها . أحست سارة لأول مرة في حياتها باللذة الطبيعية ، ولم تستطع أن تقف اندفاع عاطفتها .

بدأ "جوناثان" يفقد سيطرته على نفسه ، فاستمر في تقبيلها وتدليلها .

وعندما أفاقت إلى نفسها ، وجدت وجهها مدفوناً في رقبتها :

همست :

- إنني يائسة .

أزاح خصلة من شعره ، ثم رفع رأسها وقال :

- ولماذا هذا اليأس ؟

- لم يقبلني أحد في حياتي بهذه الطريقة ، وأنا على يقين من أنني لم أفعل هذا منذ كنت طالبة بالمدرسة .

ابتسم ، ثم انطلقا في الضحك ، وصاح "جوناثان" وهو يساعدها على النهوض :

- هيا بنا نسرع ، فهناك عشاء فاخر في انتظارنا ..

ولقد أفسدنا الكوكتيل ، وهناك أيضاً تلك الرياضة العنيفة التي مارسناها ، ونحن الآن في حاجة ماسة إلى استعادة قوتنا .

حمدت له "سارة" إقلاعه من شأن تلك الحادثة باستخدامه لهجة مرحة في الحديث .

واقترحت أن يذهب كل منهما بمفرده إلى "العميد" لكي تتيح لنفسها الوقت الكافي لتبديل ملابسها .

ولكنه أصر على انتظارها .

صعدا معاً إلى الطابق الثاني ، وهناك قبلها "جوناثان" أمام الباب .

استدارت في اللحظة التي كان فيها "جوناثان" يتأملها قبل أن يدخل حجرتها وقال لها بركة :

- إلى اللقاء هذا المساء .

ثم دخل غرفته .

الفصل التاسع

كان "جوناثان" على العكس من "هومير"، الذي لم يكن يعرف المجاملة، بينما كان الأول شهماً ومستعداً لتقديم العون وشديد الاهتمام، قدمها إلى زملائه وجعلها تشترك في أحاديثهم دون أن يتيح الفرصة لأحد أن يشك في العلاقة بينهما.

بعد حوالي عشرين دقيقة توارت عن أنظاره كي تتيح له الفرصة للحديث عن أعماله مع معارفه إذا ما كان يرغب في ذلك.

وعندما التقيا مرة ثانية وجهت له ابتسامة، كان من الممكن أن تحطم كل احتياطاتهما حول إخفاء العلاقة بينهما لو لاحظها أحد.

قدم العشاء على شكل "بوفيه" خدم المدعوون أنفسهم، وقد جلسوا سعداء أمام ست موائد للطعام، بينما جلس "جوناثان" و"سارة" على المائدة الرئيسية بجوار العميد.

وقد سار الحديث سيراً حسناً، وكان سلساً وقد تميز بالمودة، ودار الحديث حول الأحداث الجارية، وآخر الترقبات والتعيينات بالجامعة.

وهو أمر يهم الجميع ورغم كل شيء لم تصل "سارة" أبداً إلى نسيان أمسية "جوناثان" وتساءلت كيف سينتهي ذلك اليوم؟

كان من الضروري أن تشرح له بعض تفاصيل حياتها الخاصة التي لم يكن أحد حتى أصدقائها المقربين يعرف أي شيء عنها.

وكان يجب عليها أن تتوقع احتمال اضطرابها إلى الإجابة عن أسئلة محرجة، وكان مجرد التفكير في ذلك يجعلها تتصبب عرقاً بارداً.

كان العميد يجلس قريباً منها، وسألها عن أحوال عملها وكيف يسير، وعمّا إذا كانت فرحة باستمرار مشروعها...

وعندما كانت تخبره بأدق التفاصيل الممكنة تبين لها وهي متضايقاً إلى حد كبير أنها قد بدلت وضعها الاجتماعي كزوجة لـ "هومير" مقابل أن تكون تحت

حماية "جوناثان هيلي".

عندما حان وقت تناول القهوة جاء أحد خدم العميد ليخبر "جوناثان" بأنه مطلوب على التليفون.

عندما عاد إلى "الصالون" أخبر "سارة" أنه يجب عليهما الرحيل بسرعة، لأن أحد العملاء علم بإشاعة قد تؤثر على البورصة، وأنه يجب عليه التأكد من ذلك في الحال.

وما إن أصبحت في السيارة التي قام "جوناثان" بقيادتها، حتى قدم إلى "سارة" مفكرة وقلماً وطلب منها تسجيل بعض الملاحظات.

فكثبت سلسلة من الأسماء والعبارات لم تكن لها معنى عندها، ولكنها ستساعد "جوناثان" كثيراً في ترتيب أفكاره، قبل أن يرفع سماعة التليفون.

انبهرت "سارة" وهي تراه يعمل، وكانت إثارتها تتصاعد دقيقة بعد أخرى، عند فكرة اشتراكها في مغامرة جديدة: لم يكن في هذه اللحظة نفس الرجل.

عندما وصلا ودخلا القاعة، ألمحت له "سارة" أن متابعة أبناء البورصة قد أنست وجودها، ولم تكن إجابته في شكل كلمات، وإنما جذبها بعنف، وقبلها

بشراهة جعلت الشابة تطمئن على وضعها ومع ذلك دفعها وهو أسف وغمغم:

- أولاً المكالمات التليفونية.

كانت هناك وصلة للتليفون في حجرة الزوار، وأخذت "سارة" تبحث عن واحدة أخرى في حجرة المكتب. وعندما عادت كان "جوناثان" جالساً فوق السرير وقد خلع رباط عنقه وفك أزرار قميصه. وسألها:

- هل بإمكانني أن أطلب منك خدمة أخرى صغيرة؟

فهمت "سارة" مقصده في الحال:

- أعتقد أنك تريد قهوة؟

- بالضبط.. إنك ملاك.

تردد.. ثم أكمل:

- هذا نوع من الطلبات التي كانت تثير "كلير" قالت "سارة" وهي تبتسم ابتسامة غامضة:

- لقد تعودت على مطالب "هومير"، سأحضر لك براد القهوة، وسأظل

ولم تحضر القهوة فحسب ، وإنما أيضاً بعض الفطائر ، وعندما دخلت الحجرة كان "جوناثان" يجري اتصالاً تليفونياً ، وهو يكتب ، كالمجنون فوق كراسة مذكرات صفراء . قدمت له قده القهوة وكانت على وشك الابتسام عندما وقف عن الكتابة وأمسك بمعصمها وأجبرها على الجلوس فوق السرير بجواره . كان يقول في السعادة :

- نعم . لقد تحدثت معه في الأسبوع الماضي ومن المؤكد أنه متفق معنا على الاشتراك في تلك الصفقة .

ثم وجه ابتسامته لـ "سارة" وترك معصمها ، وكتب على ورقة "إنني أحس بالوحدة . وأرجو أن تغظي بصحبتني فردت عليه بنفس الطريقة " نعم " ولكنني سأشغلك " فكتب "جوناثان" على الورقة :

- هذا أفضل " ثم أكمل حديثه التليفوني :

- يجب ضبط الأسهم وفقاً لمعدل الصرف الجديد . ولكننا غير متأكدين من شيء في هذه اللحظة .

ثم أكمل الكتابة إليها " هذا المخلوق مزعج وممل للغاية ، حتى إنه يمكن أن يسبب النعاس للطفل في حالة صرع " ثم أكمل المكالمة :

-إنني أفهم تماماً ما تعنيه يا "بيتر" ... لقد أدت هذه العملية بحذق بالغ .

قال لها : " ولكنني أناوره بطريقة صحيحة ، حتى يمكن أن أحصل منه على المعلومات التي أبحث عنها دون أن يشعر بذلك " .

وضع كراسة المذكرات والقلم ، وتناول قده القهوة وابتلعها بسرعة . ثم مد يده وبدأ يدلك مقدم عنق "سارة" وكان لهذه الحركة تأثير بالغ عليها ، ولكن بالنسبة له فإنه لا يهتم بلا شك ، وإنما كان يركز اهتمامه في المكالمة التي كان يجريها :

- ولكن نعم يا "بيت" .. لقد وضعناه تحت أنظارنا .

وبدأ يلعب بالزر الأول من "بلوزتها" . رفعت "سارة" رأسها بسرعة ، وكان بصرها شارداً ، بينما كان "جوناثان" يؤمن على كل ما يقوله المدعو "بيتر" ثم فك الزر الثاني ، ثم الثالث .

أخذت "سارة" تشاركه كي تثير انتباهه ، ولكنه أتى بحركة مفاجئة بيده يأمرها فيها بالسكوت . كل ذلك وهو يحدث "بيتر" اضطربت "سارة" وتركته يحل أزرار تنورتها .

بدأت الرغبة تتملكها ، ولكن أدهشها أنه كان موزعاً بين مكالمته التليفونية وبين مداعبتها ، وفجأة نهضت وفتحت عينيها ، لم يتغير فيه شيء ، كان دائماً ينظر بعيداً ، وقد انهمك تماماً في محادثته ، وقبل أن يتوافر لها الوقت كي تتصرف أمام هذا السلوك . ضمها بعنف ورغبة وأخذ يداعب صدرها .

شعرت بالخجل ، وأطرقت برأسها ، وهي تعلم أنه يلعب بعواطفها . ولكنها لم تحاول أن تمنعه .

وضع الورقة والقلم ، ثم بدا موزعاً بينها وبين "بيتر" ، وفجأة تناولهما ثانية ، ففهمت أن "بيت" أعلن خبراً مهماً ، حيث أخذ "جوناثان" يكتب بسرعة هائلة ، ووجدت "سارة" أنه انزلق في عالم آخر لا مكان لها فيه بل إنه لم يلاحظ أنها شبه عارية .

انتظرت دقيقة ، ثم ارتدت ملابسها ، ونهضت من جواره . همس لها :

- انتظري دقيقة .

جذبها ناحيته ، وأجلسها فوق ركبتيه ، وقال :

- أوشكت على الانتهاء منه . وخلال عدة دقائق سيقول ما أود أن أعرفه منه يسألك بك بعد ذلك مباشرة . هيا اذهبي .

قالت له "سارة" وهي تبتسم ابتسامة لأذعة :

- اتفقنا .

تمنت له حظاً سعيداً ، ثم اتجهت ناحية الباب وعندما استدارت ، كان "جوناثان" يكتب وقد ركز انتباهه على ما يقوله محدثه .

لقد أثار مشاعرها بطريقة حاذقة لدرجة أنها ظلت سبية حتى بعد أن بدلت ملابسها ووقدت في سريرها . وبينما كانت تنتظره ، اضطربت وهي تسترجع مناظر ما حدث عند التليفون . مرت الدقائق وقد زادت مخاوفها ، لم يتغير في الحقيقة شيء . ولو كانا قد مارسا الحب في الحال لما اختلف عندها الأمر ،

ولكنهما تواعدا فقط . إذن فلا بد له أن يفسر لها مسلكه هذا فقد ازداد عدم شعورها نحوه بالأمان .

غرقت في النعاس ، ثم استيقظت فجأة ونظرت إلى الساعة ، ثم دفنت وجهها في الوسادة ، وذهب عنها النعاس ، وعند منتصف الليل تساءلت كيف وصل بها الجنون أن تدع "جوناثان" يصل معها إلى هذا الحد ؟

عندما طرق الباب ، كانت الساعة الواحدة صباحاً ، فجأة أحست "سارة" بالقلق يستبد بكل كيائها ، فلم تجب . فتح الباب وتقدم للداخل وهو ينادي اسمها برقة ، كان مرتدياً بنظوناً نون فائلة داخلية ، وكان صدره عارياً ، ولكن ذلك أصابها بالبرود :

- "سارة" ! ... أعرف أنك مستيقظة ، وأحس بنظرك مركزاً علي .
- اذهب أرجوك !

ولكنه جلس بجانبها على السرير وقال :

- أنت ثائرة علي وأنا أعذرك ... لم يكن من الضروري أن أعمل كل ذلك الوقت .
- إنني متفهمة تماماً لكل ما يتصل بعملك ، ولكن الأمر باختصار أنني لا أرغب في النوم معك .

- "سارة" . يا حبيبتي ! .. أعدك أن أكون لطيفاً وحنوناً وصبوراً ... وأنفذ كل مطالبك .

- لا أريد منك شيئاً .. اذهب وحاول النوم .

تعجب وهو يفكر : "سارة" تلك المرأة الساحرة ، بل أجمل امرأة في العالم ، وأكثرهن ذكاء ، وإغراء ، والتي لم يقابل مثلها منذ سنوات طويلة .. تصده الآن وهو لا يحتمل ذلك . سالها متوسلاً :

- ولكن .. لماذا ؟

- لقد غيرت رأبي . لعلنا تعجلنا بعض الشيء .. وأنا لا أعرف شيئاً عن هذا الأمر ، وأرجو ألا تخرجني .

ولم يجرؤ أن يأخذها بين ذراعيه ، حتى لا تسيء فهم حركته . فتنهد وقال :

- حسناً .. حسناً .. إنني أطيعك .. وإذا احتجت إلي ، فأنت تعرفين أين

تجديني .

قبلها فوق جبهتها ، وتعلمي لها نوماً هادئاً .

وعندما أغلق الباب ، أخذ كل جسدها يرتعد ، وأحست بأنها مذنبه تماماً في طرده ، وكانت فكرة مواجهته في الغد قد أصابته بالسقم .

لماذا تصرف هكذا ؟ إنها لا تستطيع أن تفهم نفسها

* * *

عندما خرجت "سارة" من الحمام في اليوم التالي كان "جوناثان" ينزل الدرج ومعه أمتعت ، وكانت الساعة الثامنة والربع بينما كان موعد محاضرتها العاشرة ، جرت "سارة" وراءه وأمسكت بذراعه :

- هل ترحل مبكراً هكذا يا "جوناثان" ؟ ستتناول فطورك .. أليس كذلك ؟

استدار ونظر إليها ، وهو يقول :

- صباح الخير . ما رأيك في أن أعد لك بيضاً مقلياً وشايّاً ساخناً بينما تقومين أنت بتجفيف شعرك ؟

ابتسمت له وهي تشعر نحوه بالعرفان التام ، لأن تصرفه هذا لم يكشف عن أي شيء بخصوص ما حدث بينهما في الليلة الماضية :

- اتفقنا . سأحضر في الحال .

لاحظت "سارة" تماماً أن سلوك "جوناثان" الممتاز ، إنما هو أمر طبيعي تعلمه منذ الصغر ، لقد علموه أن أفضل وسيلة للتغلب على موقف محرج هو التظاهر بأن شيئاً لم يحدث ، ولكنه لم يكن في أدبه قد وصل إلى الحد الذي وصلت إليه جدته "ميريك" ، التي ضببت لماً في منزلها فحيته بأدب ومودة وقالت له : إنها أمسية رائعة .. أليس كذلك أيها الشاب ؟

والحقيقة أن "جوناثان" أحياناً ما يجد نفسه هو أيضاً يرغب في إلقاء الأسئلة ، وطلب التفسيرات . كان واثقاً بنفسه فيما يتعلق بالنساء ، ولكن صد

سارة له أصابه في مقتل . ربما كانت ثائرة بسبب طول مكالماته التليفونية ؟ أو أنه بدأ مشروع إغرائها ، ولم يستمر فيه حتى النهاية ؟

إلا أنها عندما جاءت عدواً وانحنحت فوق سور الدرج ، ورأى وجهها ، أوحى له

ذلك بأشياء أخرى ، فمن ناحية لم يكن مهملًا لها ، ومن ناحية أخرى فإن أسباب ردود فعلها كانت معقدة جداً أكثر مما ظن لأول وهلة .

عندما دخلت " سارة " ، كانت رائحة البيض بالبصل تفوح من الطابق الذي كان بانتظارها فيه ، كما وجدت طبقاً به عش الغراب ووجدت بجانبه إناء مملوفاً بعصير البرتقال ، ملأت كوباً كبيراً ، وتحدث معها ، عن صفقة البورصة ، وفجأة ألقت عليه " سارة " تلك الأسئلة المتلاحقة التي كانت تجيدها :

- إذن لأنني أمثل لك تحدياً فقد اهتمت بي ؟

كان مسلكها هذا يفاغته دائماً ، حتى ولو كان يحاول إخفاء ذلك :

- لا .. بدون شك .

- إذن لماذا ؟

- لأنك جميلة جداً ، وذكية ، ومغرية ، وتسعدني صحبتك ، وبصراحة لا أجد غرابة في ذلك .

صمت برهة ثم أضاف :

- وأنا حزين حقاً ، لأنك لا تعرفين تماماً ما تريدان ، لأنني لا أجد مشكلة في هذا .

- اشرح لي ما تقول ..

أحس " جوناثان " وكأنه في مؤتمر صحفي ، أمام صحفية لوح ، فكان الأمر يتطلب منه أن يناور ببراعة :

- إنني أرغب في ممارسة الحب معك .

لم يكن - بهذا - قد أتى بجديد ..

- والآن .. اشرح لي سبب ما حدث ليلة أمس . هل ذكرك بـ " هومير " أم لم أذكرك به إلى الحد الكافي ؟ أم أنك لم تكوني على استعداد ؟ أم أنك لا تميلين نحوي بما فيه الكفاية ؟

خففت " سارة " وجهها نحو ضيفها وقالت :

- الافتراض الأخير غير صحيح .

- أه ! إنك لم تنتهي من أكل نصيبك من البيض ؟

- لا .. إنني لا أشعر بالجوع .

- إذن ناوليني طبقك .

وجه إليها ابتسامة بريئة وهو يقول :

- إن الرغبة التي لم أشبعها دائماً ما تفتح شهيتي .

احمر وجه " سارة " .. وكتمت ضحكتها فقد كانت فكاهات " جوناثان "

تريحها دائماً ، وتجعلها قادرة على الحديث .. وأصل حديثه قائلاً :

- أما فيما يخص حياتي : فلقد تعذبت بما فيه الكفاية من العيش بمفردي ،

وليس لدي الرغبة في هذه اللحظة ، أن أبدلها بمقابل عبء جديد ، أما بالنسبة

لليلة الماضية .. إيه ... فإنني أقدم لك اعتذاراتي .. هل اتفقنا ؟

- لا .. ليس تماماً .. هناك أمور حول زواجي لم أخبرك بها .. لدي ... ذكريات

سيئة .. ويجب علي أن أبتعد عنها أولاً ، وأنساها ، كان " جوناثان " يرمقها وهو

مضطرب ، ومشوش الفكر ، وفجأة اعتقد أنه فهم :

- هل .. اغتصبك يا " سارة " ؟ أم ضربك أم اضطررت لفعل أمور ..؟

هزت رأسها بالنفي :

- لا .. إطلاقاً .. أرجوك أن ننسى ذلك الآن .

كان الأمر بالنسبة لـ " جوناثان " لا يقبل الشك لا بد أن " الفاريدو " قد أذاها

بطريقة ما ! ولكن كيف حدث ذلك ؟ لا بد له أن يعرف .

- هل كان عاجزاً ؟

- ليس بالضبط !

نهضت وهي خجلة ومتضايقه ، وبدأت ترفع المائدة ، وقطبت جبينها عندما

سمعت " جوناثان " ينهض ، أحست بذراعيه حول خصرها ، وحاول أن يديرها

لمواجهته .

- " جوناثان " ! .. أرجوك .. حاول أن تفهمني .. من الصعب علي ..

- صه .. إنه موضوع بيني وبينك ، وزيارتي لك لم تنته كما كنت أحب ، وأريد

أن أسترد الأشياء التي تركناها . والمرة القادمة سنرى ماذا سيحدث . وإذا

كان ذلك يزعجك . فأرجو أن تكوني صريحة وصادقة ، وأن تخبريني بذلك .

همست سارة وهي تضحك وتتنظر بعيداً :

- آه .. لو كان الأمر يتعلق بهذا .. لأمكنك استئنافه في الوقت الذي ترغبه .

انطلق في الضحك ثم قال :

- شكراً لك على كل حال !

- جوناثان ..

- لا .. لا تقولي شيئاً . هيا أعطيني قبلة الوداع .

ولكن .. الساعة لم تتجاوز التاسعة .

- تماماً .. ويمكنك تقبيلي ثانية بعد عشرين دقيقة فتحت ذراعها والتصقت به ،

ثم بحثت عن فمه وتعانقا فترة طويلة ، وهي تترنح قليلاً ، وقد ران عليهما

صمت لا يقطعه سوى صوت أنفاسهما . قالت له " سارة " عندما افترقا :

- هل ترغب في قدح قهوة صغير قبل الرحيل ؟

- موافق .. قدح قهوة صغير ..

عندما نهض ليستأذن في الرحيل .. وعدها بالاتصال بها عندما يحدث جديد

بالنسبة لموضوع " روسيل " .

ثم رحل دون تأخير !

الفصل العاشر

وصلت إلى سارة أول باقة من الورد يوم الاثنين ، بعد ثلاثة أيام من رحيل جوناثان ، حررت سارة له خطاب شكر مليئاً بالثرثرة والذكريات حول ما نشرته الجريدة المحلية من وقت لآخر .

إنها لم تصدق جوناثان ولم تدعه في نفس الوقت للاقتراب منها .

ثم وصلت في يوم الاثنين التالي الباقة الثانية ولكن جوناثان لم يحاول اللحاق بها ولا الرد على خطابها . وكان من الواضح أنه مشغول تماماً بصفقة البورصة، حتى لم يعرها انتباهه .

وتساملت مع ذلك بصبر نافذ ، عما إذا كان قد تكلم مع " روسيل " أم لا ؟ وقاومت رغبتها في الحديث معه تليفونياً ، وافترضت أنه لو كان لديه جديد حول ذلك الموضوع لأخبرها بذلك في حينه .

وصلها الرد بعد ثلاثة أيام في صورة مكالمة تليفونية في ساعة متأخرة من الليل . أخبر جوناثان " سارة " بأن " روسيل " قد أعطاه حبلاً كي يقبده به ، ولم يكن يظن ذلك من قبل ، ولكن ابن عمه في نفس الوقت انتهى بالرجوع إلى عقله . وأصبح من الضروري أن تحضر " سارة " بسرعة إلى " نيويورك " كي تحل بعض المشاكل التي حددها بقوله :

- يجب أن يكون ذلك ما بين الرابع عشر والسادس عشر من الشهر الحالي ، وهي العطلة الأسبوعية الوحيدة التي يمكن فيها لقاء " روسيل " .

تعالى معي إلى مقاطعة " بوتنام " ، حيث تمتلك الأسرة أرضاً هناك وفيها يجتمع كل أبناء العم مرتين للمرح والتسلية ، وكذلك لتقرير بعض الاستثمارات ، وسيتاح لنا كل الوقت اللازم للحديث .

وكانت سارة في مكتبها ، فدرست جدول مواعيدها .

- إن لدي ارتباطات مع طلبتي ، وسألقى محاضرة يوم الأحد . أليس من

الممكن ترتيب ذلك بالتليفون ؟

- مستحيل ! يبدو أن " روسيل " يفكر في أن حضورك قد يقلب جو الجزيرة رأساً على عقب ، ولكنه بدأ أقل تشدداً عندما أخبرته أنك ستخلقين فرص عمل لأهل الجزيرة ، فقد وجد بعض العاملين أنفسهم بدون عمل عندما أغلق ورشة النسيج وقد أحس بالذنب نحوهم .

فكرت " سارة " لثائتين . كانت تتخيل أن تجد نفسها وسط عائلة " هيلي " وفي ممتلكاتهم وقد أصابتها بالرعب . فاقترحت عليه قائلة :

- ولو حلت " جيل " محلي ؟ فهي قبل كل شيء ستكون مكلفة بتجهيز القاعدة . - حسناً . أخبريها أن تتصل بـ " جودي " لتحديد ساعة وصولها بالطائرة . وسيذهب " جورج " لإحضارها من المطار ، وسنلتقي في " بوتنام " . سكت لمدة ثوان ثم قال :

- للأسف إنك لن تكوني رسولة المشروع .. أجابت " سارة " بلهجة استخفاف وهي ترفض أن تغامر على أرض زلقة :

- سنلتقي في الخليج الشهر القادم ..

- بالضبط .. خاصة وأن لدي النية في أن أقضي الأيام الأولى من البعثة معك . بعد أن أغلقت الخط ، اتصلت بـ " جيل فيرجسون " وحددت موعداً معها في اليوم التالي ، كي تضع معها خطلتها . وعندما طارت " جيل " في الأسبوع التالي كانت محملة بأطنان من المستندات والعديد من المبادلات وهي مستعدة لدخول المعركة .

لم تتصل " جيل " بـ " سارة " إلا بعد ظهر يوم الأحد ، وهي تستعد للعودة لـ " نيويورك " بالسيارة مع " جوناثان " . كان " روسيل " قد وافق على التعاون معهم ، فأطلقت " سارة " زفرة ارتياح . واتفقتا على اللقاء في اليوم التالي كي تتناولوا الغداء معاً احتفالاً بنجاحهما في مطعم صغير هادئ .

عندما التقتا ، ألقت كل منهما نفسها بين ذراعي الأخرى ، وصاحتا :
تحيا البعثة . وأضافت " جيل " :

- ويحيا البحارة من العصر البرونزي ، وكذلك أنت يا عزيزتي ، إذ سنصبح خلال ستة أشهر مشهورتين .. سألتها " سارة " :

- وهل بهذه الطريقة حصلت على موافقة " روسيل " ؟ بأن أخبرته أن باستطاعته خلال ستة أشهر وبالذعاية التي سيحصل عليها أن يضاعف أجور خدمات ناديه وفندقه ؟

- هذا ليس بالأمر المستحيل . لأن " روسيل " يبحث عن دعاية كلها تميز وتفرد ، وحلمه أن يصبح فندقه مزاراً للصفوة من العائلات في جزيرة " النمر " المعلقة . لقد أخبرته أيضاً ، وأنا أتفكه معه أنني تشرفت بسماحه لي - وأنا من عامة الشعب - بأن تطأ قدمي جنة المليارديرات ملكة .
- وماذا كانت إجابته ؟

- إنه أحياناً يجري استثناءات للعامة لمن هم أقل من المستوى . وأحياناً يكون رائعاً عندما يقوم بذلك ، وبعدها تحولت علاقتنا إلى بعض المغازلة ، لقد أضفيت الكثير من الشرف والشهرة على عزيزي " ديفيد " كي أتجنب شد الأعصاب والتوتر .

انطلقت " سارة " في الضحك وقالت :

- أفترض أن قوى إغوائك ، لم تمنع العزيز " روسيل " من وضع كل أنواع الاشتراطات .

- في الحقيقة ... لقد وضع بعض الشروط منها :

أنه يجب ألا يتجاوز الفريق دائرة المحيط ، التي حدها ، وألا يستخدم أعضاؤه حوض السباحة ولا الشاطئ ولا ملعب التنس .. إلخ . وحتى " جوناثان " حدد أنهم لا يدخلون المحلات فيما عدا حوانيت الصناعات اليدوية المقامة في المباني المجاورة كما أنه اشترط ألا يزعموهم . بل إنه طلب تعيين امرأة من الجزيرة للقيام بأعمال الطهي فوق السفينة ، وكذلك العديد من الرجال من أهل الجزيرة ضمن الفريق ، وهكذا يمكنهم الاستغناء عن منازلهم لأعضاء فريق الأبحاث ليقيموا فيها . وقد قبلت كل ذلك .

كانت المشكلة الوحيدة التي تخص أعضاء البعثة هي: هل سيرخص لهم بمغادرة السفينة عند عودتهم إلى جزيرة " النمر " كل خمسة أسابيع ؟ لقد رفض " روسيل " ، ولكن " جيل " كانت تأمل أن يغير رأيه ، وأن تحصل لهم على

تصريح منه بقضاء عدة ساعات على الجزيرة من وقت لآخر . وستكلم معه في ذلك بعد أسبوعين عندما تذهب إلى الجزيرة كي تشرف على إعداد المعمل وبرج الاتصال، وبعد استعراض عدة مشاكل مهنية ، انتقلت " جيل " إلى الحياة الخاصة لـ "جوناثان هيلي" . لقد أمضى شقيقاه " تيد " و " روسيل " ليلة كاملة يغنيان ويضحكان بجنون .

وكانت قاعة الطعام تقع فوق حجرة " جيل " تماماً .

وقد استيقظت عدة مرات أثناء الليل ، واستمعت إليهما . وفي الصباح دخلنا حجرة " الإسكواش " في الساعة السادسة صباحاً كي يلعبا مباراة حامية وعادا من مهمتهما عندما كانت " جيل " تتناول طعام الفطور ، وقد احمر وجههما ، وتقطعت أنفاسهما ، وأخذوا يضربان بعضهما على الظهر وهما يضحكان .

وقصا عليها أن اللعبة أساساً كانت بغرض إخراج الخصم من حالة الجدية .. قالت :

- إن كل أبناء " هيلي " رائعون ، وأكثرهم سحراً نون شك هو " روسيل " ، فهو من ناحية يذهب مع زوجته إلى " مونت كارلو " بصفة دورية كي ينفق ثروة من المال ، ومن ناحية أخرى فإنه مؤمن قلباً وقالباً باستثمار جهوده لتخفيف أحوال المعيشة عن سكان الجزيرة .

صممت " جيل " برهة ، ثم أكملت قائلة :

- من الواجب أن تذهبي بنفسك هناك يا " سارة " وأنا متأكدة من أنك ستسحرين بمقابلة عائلة " جوناثان " .

كانت " سارة " تعلم تماماً ما الذي تريد " جيل " أن تصل إليه ، ولكنها كررت عليها نفس الإجابة ، بأن " هومير " أيضاً كانت له عائلة ممتازة ، وأنه كان من السهل إقامة علاقه حميمة معه . وعلى أية حال فإن البعثة هي الشيء الوحيد ، الذي يجب أن تركز له نفسها طوال الأسبوعين القادمين .

كانت " سيزتوكر " سفينة جميلة . لم تكن واسعة كما كانت " سارة " تتمنى ، ولكن من ناحية التجهيزات والمعدات لم يكن هناك أفضل من ذلك .

كانت في العادة ترسو بميناء " ميامي " وقد تم توجيهها ناحية الحوض

البحري " بنساكولا " كي يجرى بها بعض الإصطلاحات ، وتم وضع محطة غطس فوق سطحها وحينما وصلت " سارة " إلى " بنساكولا " في صباح يوم الجمعة ، كان الجو مشمساً في بداية شهر مارس ، كان الفنيون من البحرية قد انتهوا من إنشاء جهاز الاستشعار الصوتي تحت المياه ، المزود بأشعة إكس فوق الغواصة ، وقد أظهرت شاشات الكمبيوتر المتصلة به صورة لم تكن ضعيفة . وفي حالة التداخل أو عدم الوضوح كان الأمر يتطلب إرسال غواصين لاكتشاف السبب .

كما تم تركيب جهاز كمبيوتر آخر لتخزين المعلومات من أجل الجيش ، والتي يحصل عليها جهاز الاستشعار الصوتي تحت الماء . لم يكن من حق " سارة " أن تسأل عن المعلومات التي تهم البحرية ، ومن أجل ذلك كان جزء كبير من تفاصيل تشغيل الكمبيوتر لا تعرفه إطلاقاً ولا يمكن لها اختراقه ، فقد وضعت البحرية مفاتيح دخول معقدة للغاية كي تحمي التسجيلات والأفلام .

كان الجهاز المتخصص في الأبحاث البحرية التابع لمعهد " بورت شارلوت " قد اشترك في مشروعات البحرية ، وهو الذي كون الأعضاء الستة لفريق البحث :

القائد ، ومدير الغطس ، وبحار الغواصة ، وكبير المهندسين ، والميكانيكي ، ومرافق " سارة " للغطس ، وكان الشخص الوحيد خارج تلك المجموعة الذي على علم باشتراك البحرية في هذا المشروع هو إخصائي الكمبيوتر ، وكان قائداً سابقاً بالبحرية ويعمل الآن كإخصائي خاص .

بعد أن زارت " سارة " البارجتين البحريتين في رفقة الأدميرال " جوشوا تايلور " أحست بأنها حزينة ، لأنه كان يجب عليها أن تعود في اليوم التالي إلى " نيو هامبشير " ، كانت تود كثيراً أن تشارك فريق معهد " بورت شارلوت " في رحلة قيادة سفينة " سيزتوكر " إلى ميناء " كي وست " ، حيث ينتظرها بقية أعضاء الفريق . كانت البحرية قد وضعت ذلك كشرط من شروط السرية والأمن ؛ لأنهم كانوا يريدون أولاً أن يتأكدوا من أن كل شيء يسير على ما يرام .

كان " تايلور " يصر على عدم صعود أي فرد غير عضو بالفريق إلى ظهر

البارجة . وقال مكملأ تعليماته :

- وهذا المنع لا ينطبق بطبيعة الحال على " هيلي " . أجابته " سارة " :

- مفهوم يا سيادة الأدميرال .

قضت الأيام الأربعة التالية في سباق مع الإدارة والطلبة ، ثم كان من الواجب عليها أن تتصل بأفراد الفريق ، وإعداد أمتعتها . وأخيراً في صباح الأربعاء رحلت " سارة " بالطائرة إلى " فلوريدا " .

لم تحس " سارة " بأن حلمها بدأ يتحقق إلا عندما صعدت فوق ظهر السفينة " سيز توكر " لقد عملت طوال ما يقرب من العام في إخراج هذه البعثة إلى حيز التنفيذ . كانت بعثتها قد رتبت حاجاتها في المقصورة المحجوزة لها ، وعادت فوق السطح لتحيي كل الموجودين هناك وكل من يصل ، كانت قد عملت مع أغلبهم ، واجتمعت بهم بعد الظهر اجتماعاً عائلياً . وفي المساء عرضت " سارة " جدولاً لمواعيد كل منهم ومختلف خطوات العمل في البحث .

وصلوا إلى جزيرة " النمر " بعد ظهر يوم الجمعة ، وكانت المدينة الوحيدة بالجزيرة تتكون من صف واحد من المساكن البيضاء المدهونة بالجير على الطريقة الإسبانية . كان البرجان الخاصان باللاسلكي اللذان مروا بهما عند وصولهم ، هما العلامة الوحيدة على وجود البعثة . كانت الجزيرة عبارة عن الأحجار الخضراء ، والزمردية المدهونة وسط الكريستال . وكانت بجق جنة " روسيل " التي سبق أن وصفها .

جاءت " جيل " لمقابلتهم ، حيث كانت تعمل بالجزيرة منذ أسبوعين ، والتقت بهم عند اللسان البحري في نفس اللحظة التي كانت فيها " سيز توكر " تلقي " الهلب " . رأتهم وهم يقتربون ، عندما وجدت الأهالي قد تجمعوا حول برج اللاسلكي . صاحبت " جيل " وهي تلوح بذراعاها :

- إن الباخرة رائعة !

أجابتها " سارة " :

- ولونك البرونزي أيضاً رائع !

وانضم شخص آخر إلى " جيل " ... كان " روسيل هيلي " ، وقد بدا عليه

المرونة الكاملة والرغبة في التعاون ، وساعدهم في المرور من الجمارك ، ودعا الفريق كله لزيارة الجزيرة .

ذكر الطريق الوحيد " سارة " بـ " سانتا روزا " بمدينة " ديزني لاند " ، لم تكن هناك أية بقعة على جدران المنازل ، ولا دهان قديم ، ولا قطعة فخار من السقف مكسورة . أشار " روسيل " إلى أحد المباني قائلاً :

- هذا هو المبنى الكبير بالجزيرة ، حيث يمكن العثور على كل الجرائد والأغذية . توزع اهتمام " سارة " ما بين البحر والأزهار الآسيوية ، ووجدت صعوبة في التركيز على ما يقوله " روسيل " ، ومروا أمام محلات تجارية ، وكان الطريق ينتهي بغابة صغيرة . اتبعوا طريقاً ضيقاً إلى أن وصلوا إلى المباني التي شاهدوها من الباخرة . كان هناك رصيف آخر رست عليه قوارب شراعية وبخارية .

كان أول مبنى دخلوه هو معمل " جيل " وبه ركن موضوع به المكتب . أخبرت " جيل " " سارة " بأن " سام " اتصل اليوم وقال إنه لن يصل قبل يوم الاثنين ، ثم أضافت :

- أما بالنسبة لـ " تيد " ، فقد وصل منذ يوم الأربعاء ولم يكف عن تركيب المعدات الخاصة بالإرسال وتقويته . لقد حاولت أن أشرح له ذلك ، وأن الاتصال بـ " سي ووكر " هو الشيء الوحيد الذي يهمنا ، ولكنه لم يستمع إلي ... أنت تعرفين " تيد " :

- نعم ، إنه - مثلك - يحب الكمال .

استدارت ناحية " روسيل " وقالت له :

- أتعشم ألا يكون أحد قد تجاوز الحدود التي وضعتها ؟

- لا .. بل إنهم فعلوا أكثر من اللازم ، لقد دعوت " جيل " للعشاء معي أمس ، ولكنها رفضت . ولدي إحساس قوي أنها لم تفعل ذلك إلا لكي تمنعني بأن أسمح للفريق بالنزول إلى الجزيرة . وقبل أن أفهم ماذا حدث لي ، تقدمت بنفسي بدعوتهم لزيارة الجزيرة ، وأن أدعوك للعشاء هذه الليلة .

تحية من الفندق دون شك . إن " جيل " مفاوضة لا مثيل لها .

قالت له " جيل " :

ثم وجهت الحديث لـ "سارة" :

- أعتقد أنني خضت مفاوضات صعبة من أجل تصاريح الفريق عندما رسونا في الركن ، لقد التقيت بـ "لوسي" زوجة "روسيل" في "نيويورك" ، إنها تود من صميم قلبها أن تضع يدها على قطع الحرير الصيني المطرزة بأيدي الوطنيين .

قالت لـ "روسيل" :

- فكر في ذلك ، وإلى اللقاء .

اعترض "روسيل" :

- ولكن الزيارة لم تنته ، فبقي أمامك زيارة المحطة والمكان المحبب إلى قلبي . كان يريد الحديث دون شك عن مكان تجميع التحف الفخارية والتماثيل ، كان هناك ستة صناع مهرة موجودون عندما دخلوا الورشة ، ولكن "روسيل" أخبرهم بأن عدد العاملين سبعة عشر .

ما إن أقلت "سارة" نظرها على المشغولات حتى أصيبت بالذهول ، فقد كانت تشبه تماماً القطع البدائية الأصلية .

وعندما تناقشت "سارة" بالإسبانية مع بعض الصناع ومن بينهم ابن الطاهية "جويلرمولوييز" بدا أن سكان القرية يعتبرون "سارة" وفريقها دخلاء عليهم . كان السكان الوطنيون ينفرون من الأشخاص الذين أتوا كي يشاهدوهم ، سواء أكانوا سياحاً أم غيرهم ، بما فيهم المليارديرات الذين أتوا لقضاء إجازاتهم ، والذين يشترون إنتاجهم من معرض الفن بالجزيرة ، وكانت "سارة" تحترم رغبتهم في الخصوصية وتفهمها .

أما بالنسبة للمحطة التي أنشأها "روسيل" ، فقد كانت جميلة أكثر من أي صورة شاهدتها لها .

قضوا بقية فترة ما بعد الظهر فوق السفينة ، وفي حوالي الساعة السادسة توجه الفريق بأكمله إلى مبنى الجمارك كي يركبوا الترام الصغير الذي يخترق الجزيرة ويصل إلى المحطة ، كان "روسيل" بانتظارهم وقادهم إلى الشقة الخاصة به ، حيث مدت مائدة فاخرة من الطعام ، وكان الشراب لذيقاً ، والأطباق شهية ، وقد قام "روسيل" بدور المضيف الكامل ، وكان ينتقل ما بين

المدعوين ويواصل الحديث ، ويقدم المدعوين إلى بعضهم .. همست "سارة" في أذن "جيل" .

- الحقيقة يا "جيل" لقد فعلت المعجزات مع "روسيل" ، خاصة عندما أفكر في مدى صلابته وانغلاقه على نفسه ، وأكاد الآن أعتقد أنه مسرور بلقائنا ووجودنا .

ومنعت نفسها من التثاؤب وقالت :

- أعتقد أنني أكلت كثيراً ، كما أعتقد أننا سنقوم بجولة تساعدنا على الهضم . عادتنا إلى السفينة واستندنا إلى السياج على السطح ، وهما تتأملان البحر الغامض العميق . قالت "سارة" فجأة لـ "جيل" إن "جوناثان" حدثها تليفونياً وسط الأسبوع كي يطلعها على الأعمال التي اضطرت له للمكوث في "نيويورك" ، ويخبرها أنه سينضم إليهم يوم الاثنين . وسألتها "جيل" إن كانت قد اشتاقت إليه ، وكانت الإجابة بنعم وإن كانت خالية من العاطفة . شرحت لها قائلة :

- إنه يتصل بي كل أسبوع ، وإن كانت جميع مكالماتنا تدور حول العمل فقط . ثم إن لديه امرأة أخرى في حياته ..

وقفت "سارة" ثم سألت "جيل" :

- هل سمعت شيئاً ؟ هناك شخص يتمشى !

استدارتا ، وشاهدتا شاباً صغيراً يظهر على سطح السفينة من الدرج الرئيسي . كان أحد الموظفين الذين أوصى "روسيل" بتعيينهم وكان بحاراً شرساً وهادئاً في آن واحد واسمه "جيمي فارغاس" ، وكان والده البستاني الخاص برئيس الجزيرة . تعجبت "سارة" لعدم حضوره العشاء معهم . احمر وجهه قليلاً وهو يقول :

- السيد "هيلي" الرئيس . وهذا النوع من مواعيد العشاء ليس من أجلنا . أنبته "سارة" :

- لا تكن مضحكاً ! فوق السفينة كل الناس سواسية وبالمناسبة : ستعود إلى السيد "هيلي" ، فاصحبنا .. لا بد أنك تكاد تموت جوعاً . فنظر إليهما بابتسامة امتنان وتبعهما .

الفصل الحادي عشر

كانت الغواصة " سيثيمتر " دقيقة الصنع بالمقارنة بما كانت " سارة " تستخدمه فيما مضى .

أدهشها شكلها الجميل المتقن من الداخل . وكان البحار " چيمي كلاي " على اتصال دائم بكمبيوتر الغواصة يحدد الموقع ، ويوجهها بمنتهى الدقة ، أما إخصائي تحليل الصوتيات المائية " ماكس ليبرمان " فكان يجلس أمام الشاشة ويدرس الصور ، وكانت " سارة " تراقبه من فوق كتفه ، فوجدت الصور في منتهى الدقة والوضوح ، ولا شك أن الغطاسين يبذلون جهداً كبيراً في سبيل الحصول على صور بهذا الوضوح والدقة .

أما الشخص الرابع فوق السفينة ، فهو " إيد ستوني " وهو من معارف " سارة " ، ومن أحسن الغطاسين في العالم . وكان يستطيع بغير زنه أن يكتشف مقدمة السفينة على بعد مائة متر ، حتى لو كانت غارقة بالكامل في البقايا والحطام ، والطين ، والشعاب المرجانية .

راقب " إيد " الشاشة لمدة ما بين الساعة والساعتين ثم تعدد فوق أريكة صغيرة ، وأخذ يقرأ الجريدة .

جلست " سارة " فوق المقعد الدوار ، وأخذت تراقب الشاشة عن بعد . كان " ليبرمان " من وقت لآخر يطلب من " كلاي " أن يقوم بنصف دورة لفحص شيء ما . لم يعثرا إلا على سفينة واحدة لم تكن تحتوي إلا على حطام حديدي مكوم من المؤكد أنه كان مجموعة من المدافع القديمة و " الهلب " . كان الكمبيوتر قد تمت برمجته كي يعطي معلومات عن كل الجوانب وأنواع الحطام التي سبق اكتشافها في المنطقة .

عندما ضغط " ليبرمان " على مفتاح استعادة الذاكرة ظهر اسمان على الشاشة . كانا اسمي سفينتين إسبانيتين تجاريتين خرجتا من ميناء " فيرا كروز " عام ١٧٠٠ ، وكانتا تستكملان طريقهما ..

انضم " إيد ستوني " إلى " سارة " ، وقضيا الوقت في استرجاع الذكريات في حوالي منتصف فترة ما بعد الظهر ، طلب " ليبرمان " من " كلاي " أن يصمت ، بينما أخذت " سارة " تفحص الشاشة بانتباه . ومنذ النظرة الأولى فإن ما شاهدها لم يكن تكويناً طبيعياً . أمر " ليبرمان " " كلاي " قائلاً :

- در حول هذا التكوين في اتجاه عقارب الساعة .. هذا جيد يا " چيم " .. بضع درجات أخرى .. استمر .. استمر .. وقف .

وكان " إيد " و " سارة " قد انحنيا أمام الشاشة وكان ثمة تجمع معدني في الربع البعيد من الصورة ، وهو ما لاحظته " سارة " وأشارت إليه بإصبعها .

ورسم " ليبرمان " دائرة ، وقال :

- هل ترين هذا ؟ .. يبدو أنهما سفينتان إحداهما فوق الأخرى . وإحداهما مغروسة في الأعماق .

صاح " إيد " .

- هيا يا " سارة " .. دعينا نذهب إلى هناك !

ذهبا إلى حجرة الإعداد للغطس ، حيث لبسا زي الغطس ، وأوصلا أنابيب الهواء بالغواصة لكي يغطسا دون حاجة إلى اسطوانات هواء . وكان الاتجاه الذي سيتبعانه يتحدد وفقاً لتعليمات " ماكس " عن طريق جهاز لاسلكي كانا يحملانه .

* * *

تقدم " إيد " ، وقد لبس بوصلة مغناطيسية للتعرف على الحديد والمعادن ، بينما تولت " سارة " التصوير . كان المطلوب جمع أقل كمية من الأشياء الضرورية ، وتحديد مكان الحصول عليها بدقة . وفي لحظة معينة ، رأت " سارة " تتوأم داخل عمق البحر ، فضغطت عليه بيدها حتى تكسر . ظهرت قطعة من الفخار ، ثم تلتها قطعة أخرى . كانت عبارة عن كومة من الأواني الفخارية المكسورة . لم يكن لديها شك في أنها إسبانية الصنع . وضعت بعضها في حقبيتها الكبيرة . ثم لم تجد بعد ذلك سوى بضع محارات وشظايا لا قيمة لها .

عندما انتهيا من الاستكشاف المبني ، عادا إلى " سيثيمتر " لإحضار جهاز قياس العينات .

كان موجودا أسفل الغواصة ويسمح بالفوص حتى عمق عشرة أمتار . عندما انتهيا من كل شيء ، وضعا كل العينات وكل ما عثرا عليه في حجرة خاصة بالغواصة ، مملوءة بالمياه والحرارة الثابتة ، للمحافظة على الأخشاب القديمة . حيث يمكن تحديد تواريخ صنعها بمنتهى الدقة . عن طريق " الكربون " و " الكوارتز " .

قاما بجولة في الغواصة ، واطمانا ثم انتظرا .

سمعا صوت " ماكس " من خلال الميكروفون الداخلي :

- ثمانون دقيقة .. عند عمق أربعة وثلاثين متراً . أمامكما خمس وثلاثون دقيقة من الانتظار .

عندما رفع الونش الغواصة ووضعها فوق السفينة " سيزتوكر " ، كان كل أعضاء الفريق قد تجمع وصفق عندما ظهرت " سارة " أولاً ورفعت يدها بعلامة النصر وهي تبتمسم . كانت " جيل " قد جاءت من الجزيرة في قارب بخاري ، ثم هجمت بلهفة على العينات كي تضعها في معمل السفينة .

كانت " سارة " قد أتت تقريرها حول هذه الغطسة الأولى ، عندما لاحظت وجود " جوناثان " ، وقد ابتعد بعض الشيء ، وهو يناقش طبيب البعثة " مارتي وايز " . كان مرتديا سروالا قصيرا " وتي شيرت " وكان يشبه رئيس فريق السباحة ، أو لاعب تنس ؛ أكثر من كونه من رجال البنوك .

انضمت " سارة " إليه كي تحببه ، وكانت - كما قالت لـ " جيل " - قد اشتاقت إليه ، ولكنها كانت مشغولة للغاية ، حتى لم تجد وقتا كي تحس بعذاب الشوق . وعندما رأته أحست بأن التركيبة الكيميائية الدقيقة التي تربطها به كانت قوية أكثر من أي وقت مضى ، على الأقل من وجهة نظرها هي .

ابتسمت له . بدا كل شيء أمامها جميلاً وسهلاً .

كانت البعثة تسير بنجاح في مسيرتها ، وكان الجو رائعاً والبحر صافياً ، والرجل الذي تحبه موجوداً أمامها .

تصافحا . كان " جوناثان " يقوم بدور الرئيس للمؤسسة على أكمل وجه . وكانت " سارة " تتحرق شوقاً لأن تقول له " لا داعي لكل هذا الجهد " . ولكن أين الجانب المرح في مسلكه ؟

في ستة أسابيع من الممكن أن تحدث تغيرات كثيرة . قالت " سارة " :

- لا شك أنك تنوي الإقامة .. أين متعلقناك ؟

- بالقرب من الدرج المؤدي إلى الكبائن .

ذهبا كي يأخذاها ، ونزلا الدرج . كان قلب " سارة " يدق بقوة ، وفتحت باب مقصورتها وكانت أكبر واحدة بالسفينة ، وتبعها " جوناثان " ووضع حقيبة السفر على الأرضية وهو قلق ويبدو عليه عدم الاستقرار . كانت " سارة " لطيفة معه لا أكثر . وقد أرسلت " جيل " مكانها إلى " نيويورك " . هل يجب عليه أن يفكر بعد ذلك في حسن حظها ؟

نظر حوله ، فوجد سريراً كبيراً ينطوي داخل الجدار ، كما وجد " سويتز " نساءياً ملقى فوق ظهر مقعد ، بينما وضعت الجريدة وحقيبة يد فوق المائدة . تقدم " جوناثان " ناحية " الكومودينو " وفتح درجاً . كان مملوئاً بالملابس الداخلية النسائية . وأغلق الدرج واستدار نحوها :

- لا بد أن هناك خطأ . فهذه المقصورة مشغولة .

رأت تماماً ابتسامته ، وتبينت اللهجة المشاكسة في صوته . ولكن لم تكن واثقة تماماً من نفسها ، لذلك لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تقول :

- لست مضطراً للإقامة هنا .. هناك مقصورة أخرى غير مشغولة .

- لا مجال للنقاش . أغلقي الباب وتعالني هنا ..

- هل هذا أمر ؟

- لا يا سيدتي ... بل رجاء متواضع ، ولكن إذا لم تسرعني ..

أغلقت " سارة " الباب ، وجرت نحوه ولفت ذراعيها حول وسطه . قبلها قبلة خفيفة فوق فمها وأنفها وعنقها ... كانت رائحته .. رائحة البحر .. أخذ يتذوق جلدها . واندفعا في عناق محموم ، زاده الشوق لهيباً . همست وهي ملتصقة بصدرة :

- إنها ساعة تناول الطعام . هل أنت جائع ؟
- لا .

- إذن لا بد من إجبارك ، فأتا هنا " الرئيس " ، والجميع ينتظرنا ..

ابتعدت عنه قليلاً ، وأخذت تتطلع إليه وكأنه أجمل رجل في العالم .. همست :

- إن لدى " روسيل " طاهية رائعة ، وقد وعدتنا بدجاجة مشوية على الطريقة
الوطنية ، أخذ " جوناثان " وجه " سارة " بين يديه وقبلها قبله حارة ..

وعندما غادر المقصورة ترك يدها .

بدأ العشاء وكأنه لن ينتهي ، تواري " جوناثان " وترك " سارة " كي تكون
نجمة الحفل . كان وجوده غريباً بعض الشيء وسط هذا الجمع من الباحثين
والغطاسين ، وكان يمثل المال والمؤسسات الكبرى " بنيويورك " ، التي يعتمد
مشروعهم إلى حد كبير عليها وكانوا يتسالمون عن طبيعة العلاقة بينه وبين
" سارة " .

وعلى أية حال ، فقد فاجأ شيء ما " جوناثان " وأثار انتباهه بسرعة ، وهو
وجود عدد من الرجال أكبر من عدد النساء . وأن الجزء الأكبر كان صغير
السن ، رياضياً ، ويحس بسحر " سارة " وجمالها . كم كان يود أن يطمئن على
الشابة الحسنة وسط هذا الحشد ، بأن يضع ذراعه فوق كتفها من أن لآخر ،
وأن يناديها " بعزيزتي " أثناء حديثه معها ، ولكنه لم يجسر على ذلك . كان
يخشى إرباك " سارة " أو إثارة عدوانيتها . وأخيراً سيعرف الجميع أنه يقيم
بمقصورتها .

نوقشت موضوعات المشروع بعد العشاء .

وتدخلت إحدى إخصائيات الطبيعة ، كي تشير إلى أن دراسات علم أعماق
المحيطات قد ألغت سرية المعلومات الأساسية . وقد انتهزت تلك الإخصائية
فرصة وجود " جوناثان " ، كي تطلب منه أن يستخدم نفوذه ويرفع الحظر عن
الأموال المخصصة لإنشاء كرسي لهذه الدراسة بالجامعة .

زفر " جوناثان " وهو يجيب بأنه سيفعل كل ما يستطيعه . وكان على استعداد
لتقديم أية وعود ، شريطة أن يدعوه يذهب هو و " سارة " ..

كانت " سارة " تحس بنفاد صبر " جوناثان " ، فأنهت الاجتماع في وقت
محدد ، وتمنت ليلة سعيدة للجميع ، تبعتها " جوناثان " . وسرعان ما كانا داخل
المقصورة . ألق " سارة " بنفسها فوق مقعد ذي مساند ، وهي تطلق زفرة
شبه مكتومة .

- إنني أحس بأنني عصبية بعض الشيء .

طمأنها " جوناثان " وهو يخلع ملابسه :

- لن يدوم ذلك طويلاً ومن ناحية أخرى فإن بعض الاسترخاء قد يفيد .

- أعرف ذلك ..

قامت " سارة " مثله بخلع " التي شيرت " وهي تحس بعدم الراحة ، وعندما
أتمت ذلك تقدم منها " جوناثان " وأخذ القميص من يدها ، ثم نلع عنها
حذاها .

أحست لأول مرة في حياتها بأنها سعيدة ..

لقد كان يختلف في علاقته معها تماماً عن " هومير " الذي كان قد استغل
براءتها وعدم خبرتها . كان " جوناثان " يجعلها تحس بأنها مرغوبة ،
فاستسلمت لرغبتها المستعرة نحوه .

وعندما هدأت عاطفتها ، أخذها " جوناثان " بين ذراعيه ، وهو يقول :

- أعتقد أنني سأحصل على الكثير من الإجازات هذا الصيف .

* * *

الفصل الثاني عشر

انتظمت حياة "سارة" و"جوناثان" في الأيام التالية بطريقة أفضل . كانا يتناولان فطورهما يومياً معاً وبمفردهما بالمقصورة ، ويعملان معاً أثناء النهار معظم الوقت داخل الغواصة .

وكان اجتماع الفريق دائماً مليئاً بالحيوية والعاطفة ، ووجبات الغذاء مرحة ، بينما كان الليل كله لهما بمفردهما .

وكان أعضاء الفريق سعداء من أجل "سارة" ، عندما وجدوها هائمة في علاقتها مع "جوناثان" وكانوا يمازحونها أحياناً ، ولكنها لم تكن تتضايق من ذلك ، بل كانت ترد عليهم رديداً لازعة .

وعلى العكس ، كان "جوناثان" ينظر إلى الأمر بغير راحة . وصرح بذلك في يوم ما وهما في حجرة ضغط الهواء فقد بدأ حديثه قائلاً :

- أعرف تماماً أنه من فحش القول أن أشير إلى أصلي ، ولا أشك لحظة في صدق عواطفك نحوي ، ولكنني أؤكد لك أنه لأمر صعب أن نرى الناس كل يوم يتعرفون أكثر على مدى علاقتي معك . ابتسمت "سارة" وقالت :

- أنت تأخذ مزاحهم مأخذ الجد . هنا كل شيء يمر من الكرام ، وكأنك في المدينة الجامعية أو الخدمة العسكرية .

زمجر "جوناثان" . وكان يبدو شديد الجدية معتل المزاج حتى إن "سارة" وضعت يدها داخل قميصه وهي تضحك :

- قبل كل شيء يا "جوناثان موريسون هيلي" بن "جوناثان لينلي هيلي" ، أنت تعيش فوق تلال من الدولارات . وأنا عشيقتك... ما الذي سأحصل عليه من وراء ذلك ؟ معاطف فراء ؟ ... جواهر ؟ ... أملاك واسعة ؟ لا شيء على الإطلاق .

وبصراحة .. فإنني أتساءل : هل حصلت فعلاً على صفقة مربحة ؟

جذبها نحوه ، وأجبرها على الجلوس فوق ركبتيه .

- كلمة واحدة منك ، وسأنتزعك من هذا الجحيم يا حبيبتي ؟ ... لماذا لا تتوقفين

عن العمل ؟

إنك ستنتقلين من حفل "كوكتيل" إلى رحلة بحرية ومن معرض جمعية بر ، إلى افتتاح عرض أزياء لمبتكرات "كارتيه" أو "سان لوران" يا لها من حياة جميلة !

صاحت "سارة" ، وهي تخفي وجهها في صدره :

- يا للهول !

استغل "جوناثان" التصاقها به كي يداعبها ، فأطلقت صيحات سرور عالية وقالت :

- أنت فاسد الأخلاق يا سيد "هيلي" .. إن هذه الأفعال في غواصة على عمق أربعين متراً ..

- لا تثيريني أكثر من هذا . وقبل كل شيء .. من الذي يتمشى بمايوه شبه عار على الشاطئ ؟

بعد ذلك انهماكا في العمل . ووصلهما صوت "ماكس ليبيرمان" عبر الميكروفون الداخلي . طلب من "سارة" أن تصعد لتلقي نظرة على الشاشة فتركها "جوناثان" وهو أسف ، ولكنها قالت بلهجة لازعة :

- تذكر الليلة التي انهمكت فيها مع البورصة !

فكر بضع ثوان وقال :

- الأفضل أن أغطس معك ونقضي كل الساعات معاً في حجرة الهواء المضغوط .

وقفت "سارة" عند الباب قائلة :

- يا للخسارة .. لأنك لا تمتلك رخصة يا "جوناثان" المسكين . لا بد أن استمر مع "إيد" ..

كان "إيد ستوني" غير مقبول عند "جوناثان" وكان يحس بالغيرة من العلاقات المهنية بينها وبين "إيد" ، وكان قلقاً وهو يراها تقضي وقتاً طويلاً في حجرة ضغط الهواء معه ، وكان يفضل لو أن ذلك الشاب كان أقل جاذبية منه قالت له :

- إنه متزوج ولديه ثلاثة أطفال .

- وتتقصين أخباره أيضا ؟

- إنني أعرفه منذ سنوات عدة ! ولقد لاحظت أنك دائما تعامله بتحفظ أكثر من اللازم ... لا شك أنك تخشى أن نتوم بمغامرة عاطفية عندما نعود إلى نيويورك .

بدأ جرس التحذير يدق في رأس "جوناثان" ، لم يتحدث لا هو ولا "سارة" عن المستقبل بينهما . لم يكن هناك اتفاق مسبق . كانت علاقتهما من نوع العلاقات التي لا غد لها .

كان تخيل وجود "سارة" مع رجل آخر يسبب له عذاباً لا يحتمل . قال لها وهو يهز كتفيه :

- أنت حرة !

وضعت يدها فوق ذراعه :

- ولكن ذلك سيحزنك كثيراً ؟

أجاب بنظرة قاتمة :

- نعم ..

- لا بد أن نناقش ذلك بتفاصيل أكثر .

ما إن رآها "ليبرمان" حتى أراها بقعة داكنة في أسفل الشاشة :

- أعتقد أنها هلب سفينة من الخشب أو الحجر ، ولكنها مدفونة على عمق من ثلاثة إلى تسعة أمتار من الحطام .. ولا يوجد حولها شيء .. لا سفينة ولا أشياء من ذلك القبيل . ما رأيك ؟

استدارت "سارة" ناحية "إيد" وسأته .

- وما رأيك أنت ؟

نظر "إيد" إلى ساعته وقال :

- هيا بنا .. لقد تقدمنا عن البرنامج اليومي ، وهذا يتيح لنا اختبار هذا الجهاز .

كان "إيد" يشير إلى الإجراء الذي يسمح بالبحث عن عينات على عمق عشرة أمتار ، وكسر الشعب المرجانية وتسييل تيار قوي من المياه .. على الجهة المراد تخليصها من العوائق ورفع كتل يبلغ وزنها خمسمائة كيلوجرام بواسطة ذراع

آلية . وقد اختارا من أجل القيام بمناورتهما زي غطس ذاتي الهواء حتى لا تعوقهما الوصلات مع الغواصة .

استغرق منهما ذلك العمل الدقيق المرهق ما يقرب من الساعتين ، ولكنهما عندما وصلا إلى هدفهما ، وجدا أنه تكوين طبيعي ، أحسا بالإحباط والتعب ، فعادا إلى حجرة الهواء المضغوط ، ضغط "ليبرمان" زر الميكروفون الداخلي كي يوضح لهما ما يراه . كان "جوناثان" أيضاً ينصت ويراقب ، وقد أحس بشعور "سارة" بالفشل .

لقد مرت خمس وأربعون دقيقة على وجودها مع "إيد" وعندما بدأ ضوء أحمر بضوء ويختفي فوق لوحة العرض . أعلن "جيم كلاي" البحار أن ذلك علامة تحذير متصلة بدورة الهواء في الغواصة . كان خطأ ميكانيكياً قد سبب ارتفاع نسبة الكربون في الهواء . أعلن "كلاي" في الميكروفون :

- في رأيي أن هناك صماماً غير محكم ، ويمكنك الاستمرار لمدة ربع ساعة أخرى قبل أن يصل المستوى إلى الحد الذي يثير القلق . ما رأيك ؟

كان "جوناثان" معتاداً على التدخل وإصدار الأوامر ، فقطع الحديث قبل أن تجيب "سارة" .

- ما هذا السيناريو ؟ كل شيء يسير على ما يرام ! ولكن ماذا يحدث لو غزا الكربون الغواصة ؟

- لدينا الوقت الكافي كي نصعد إلى السفينة .

- هذا لا يعجبني ، خاصة وأن "سارة" و "إيد" في حالة ضغط شديد ، وتحتاج غرفة الإنقاذ بالغواصة إلى نصف ساعة حتى يمكن الوصول إليها .

من يشاهدك في هذه الحالة يقسم أنك تخرج فيلماً سينمائياً يا "جوناثان" حول كارثة . أمامنا عشرون دقيقة ، ولكن قد ينفجر الصمام بالتأكيد خلال تلك الدقائق وفي هذه الحالة نستطيع أن نستخدم الأكسجين ، سنواصل المهمة حتى نهايتها . اتفقنا يا "جيم" ! تدخل "جيم" مرة ثانية :

- اسمعيني يا "سارة" . أنت لست متأكدة بأن الخطر يرجع للصمام . هيا عودي ، وعاودي الغطس غداً في وقت مبكر . لقد اقترب النهار على النهاية

وعندما يكون المرء متعباً يرتكب أخطاء.

- إنني لا أواجه أي خطر يا "جوناثان"، وكف عن التدخل فيما لا يعنك.

قطع "جوناثان" الاتصال وسأل "جيم".

- ما رأيك؟

هز البحار كتفيه:

- إنه غطاس ماهر، وما تتخيله ليس مستحيلاً، ولكن في نفس الوقت يجب

أخذ الأمر بمنتهى السهولة. لو كنت بمفردك لأكملت مهمتي.

سأل "جوناثان" "ليبرمان" عن رأيه:

- أعتقد لو كان "إيد" بمفرده أسفل لما قلت.

- ولكنك لم تجب عن سؤاله.

ابتسم "ماكس" وقال:

- إنني متفائل بطبيعتي..

تردد "جوناثان" لحظة، ثم قال لـ "كلاي":

- اتصل بالفواصة كي تصعد فوقها.

- أئن تخبر "سارة"؟

كان "جوناثان" معتاداً على إطاعة أوامره، وقد بدأ الأمر كله يضايقه، فصاح:

- لن نخبر "سارة". أنت تعمل بنقود مؤسستي وليس لدي نية أن أعرض

الأرواح إلى الخطر. عليهم أن يعونوا. هل فهمت؟

نفذ "كلاي" الأوامر وهو مسرور أكثر منه غاضباً. وفي هذه الفترة كانت

"سارة" لديها فكرة عما يحدث فوق السفينة، فاشتعلت غضباً، والتفتت إلى

"إيد" قائلة:

- لدي رغبة في أن أخرج من هنا وأقضم رقبتك. ما الذي جرى له حتى يعطي

الأوامر بدلاً مني؟

قال "إيد" بلهجة ساخرة:

- يا عزيزتي المسكينة.. منذ قرن والسيد "هيللي" يصدر الأوامر، لقد أصبح

ذلك من طبيعته.

عندما عادت إلى قاعة القيادة، وجدت ما كانت تخشاه:

سطح البحر والفواصة أمامها، و"جيم" يضعها في المكان المضبوط كي يمكن

تثبيتها فوق سطح السفينة. شحب وجهها من الغضب، وقد ضغطت أسنانها

وصعدت في البداية، وفي الحال أشارت إلى كبير المهندسين "ليو ويلر"

الذي كان بانتظارها.. تردد "جوناثان" قليلاً، ثم انضم إليهما. قالت:

سارة:

- فهمت يا "ليو"؟.. وعلى أية حال اعتمد علي وأرجو إعداد تقريرك صباح

الغد.

سأل "جوناثان":

- أخبرني يا "ليو" من غيرنا - نحن الأربعة - دخل الفواصة عندما كانت

فوق السفينة.

- حسناً! القائد ومساعدته، وكبير الميكانيكيين، وقد تلقى الباقون الأوامر

بالابتعاد عنها.. فهمت "سارة" تماماً ما الذي يريد "جوناثان" أن يصل

إليه، ولم تقبل إطلاقاً تصرفه.

فانفجرت صائحة:

- بعضهم أراد تخريب هذا الجهاز. ولم يكتف بفك الصمام..

لم يعر "جوناثان" تدخلها أي انتباه، وقال:

- في المستقبل أريد مراجعة تشغيل "سيثميتز" كل صباح قبل نزولها

البحر، بالإضافة إلى المساء عند عودتها. وأحب سؤال الجميع دون استثناء

لمعرفة من الذي وضع قدمه في ذلك الجهاز دون إذن؟

- إذا كنت تتهم "ليو" أو "ريتش"...

- إنني لا أتهم أحداً. إنني أسأل فقط. لاتخاذ الاحتياطات الواجبة والأولية.

وجهت "سارة" له ابتسامة حاولت فيها أن تبدو طبيعية:

- أعتقد في الوضع الحالي أن ذلك ليس ضرورياً.

- إنني مصر.

- عفواً.. أنت مصر، ولكني لا أعتقد أن هذا دورك على السفينة.

احتفظ بنظرة بعيداً دون أي حركة وقال :

- لقد حددت دوري بنفسى .

- سترحل خلال ثلاثة أيام . وسأبقى دائماً هنا ، ولكن إذا أردت تغيير مهنتك فلا تتردد . وأنا مقتنعة أنك ستصبح عالم آثار فعلاً جداً ، وأصبح أنا مديرة بنك مرموقة .

فهم "جوناثان" أن عليه التراجع في الحال .

لكن من ناحية أخرى ، فإنه لا يتقبل هذا الهجوم الذي لا تفسير له ، وظل صامتاً لبرهة ، فاتخذت "سارة" قرارها دون أن تنتظر إليه .

استدارت وقالت لـ "ليو" :

- هيا بنا نراجع دوائر الغواصة .

راقبهما "جوناثان" وهما يبتعدان ، ولاحظ ابتسامة خفيفة على شفتي "إيد ستوني" ... رد عليها بهز كتفيه مستسلماً وهو يقول :

- إنها صلبة الرأي .

قال "إيد" وهو يضحك :

- شيء طبيعي ، فقد كانت متزوجة من "الفاريدو" لمدة ثمانية أعوام .

توجه "كلادي" و "ليبرمان" و "ستوني" ناحية الغواصة بينما لحق "جوناثان" بالمقصورة التي كان يشارك فيها "سارة" ، وتمدد فوق السرير ، وأخذ يقرأ ويفكر . اعتل مزاجه فترة ، وازداد اعتلاله دقيقة بعد أخرى . إنه قلق عليها بينما لم تفكر إلا في شيء واحد :

فرض سلطتها ، وهي في الأعماق ، ربما كان ذلك بالنسبة لها مجرد وسيلة لتثبيت أهدافها .

عندما لحقت به ، كانت في برودة المحيط الأطلنطي في شهر يناير (كانون الثاني) . نظرت إليه دون أن يهتز لها رمش وأعلنت :

- لقد انفتح الصمام . وكان بإمكاننا أن نظل في الماء ست ساعات أخرى دون أي مشكلة .

حاول "جوناثان" ألا يدخل في الطلاس :

- اعذريني إذا كنت قد تجاوزت قلقي . لقد كنت قلقاً عليك ، وهذا كل ما في الأمر .

- لست في حاجة إلى من يرعاني ، وأنا فوق "سيز توكر" .

- لا شك في ذلك ، ولكن نظراً لعلاقتنا ...

- لتقف علاقتنا هنا ، ولتكف من الآن عن النزول معنا في الغواصة

يا "جوناثان" . لقد كان أربعة أشخاص لهم مثل خبرتي متفقين على الاستمرار حتى نهاية المهمة المحددة .

حسناً . إنك أنت الذي توفر المال ، ولكن هذا لا يعطيك أي حق - لأي سبب من الأسباب - في إعطاء الأوامر مكاني ، حتى في حالة حدوث مشاكل .

- حسناً .. موافق .

مد "جوناثان" ذراعه لها وهو يقول :

- يا حبيبتي . لن نتجادل الآن ، فلم يبق أمامنا سوى ثلاثة أيام قبل رحيلي . فهمت "سارة" تماماً ما يرمي إليه : الحب أيضاً .

إن الرجال لا يفكرون إلا فيه . نسيت الآن أن الضوء الذي يشع الآن في عيني "جوناثان" هو الذي كان ينير لبايها .

أخذت بعض الملابس من (الدولاب) ، وذهبت لأخذ حمام . كان صراعها مع الحطام قد أنهكها ، وأحست بأنها متسخة ولزجة . أخذ الماء الساخن يترقرق فوق جلدتها ووجهها ، وعندما دخل "جوناثان" المقصورة .. لم يكن يرتدي سوى منشفة حول الجزء الأسفل من جسمه .

صاحت ، حتى علا صوتها فوق صوت المياه :

- سأخرج فوراً ، فلدي موعد مع "شارلي لورنس" ... "كان" "شارلي لورنس" هو قائد السفينة ، ولا وجود لذلك الموعد . قال لها بلطف وهو يترك المنشفة تسقط .

- أنت تكذبين ، فأفئك يرتعش .

- حسناً ... إنني أكذب ، ولكن ليس لدي مزاج . وأمنعك من الاقتراب مني ، لأن ثورتى معك كانت حقيقية ... لكنها استسلمت له بعد صراع غير طويل ، وعندما

عادت إلى رشدها ، أحست بالخجل من نفسها ، لقد كان مسيطراً عليها تماماً ، نظرت إليه ... ابتسم ، وأخذ يتكلم عليها بلطف ، وفجأة أحست أنها تكرهه . قالت له :

- إنك لا تحس بمدى غضبي .

- بل أحس بذلك ، وأنت تزدادين جمالاً عندما تغضبين .

جلست "سارة" فوق السرير ، وقد أحاطتها موجة من المرارة .

- أعتقد أنك ستتمشى غداً فوق السفينة دون قميص ، وأنت تتيه فخراً . وإذا

كنت تعتقد أنني لم أفهم حيلتك يا "جوناثان" .. فعلا إنك لا تحب أن أصدر

لك الأوامر ، وعليه فقد قررت أن تظهر لي أنك الرئيس . وأرجو أن تكون قد

استمتعت بهذه التمثيلية ، لأنني أحذرك بأنه لن يكون هناك غيرها مرة أخرى .

- "سارة" ... يا حبي !

- قف مكانك ! واحزم أمتعتك كي تنام في مكان آخر . لكنه لم يتحرك قيد

أنملة:

- بدلاً من أن توجهي ضربات في الهواء ، حللي بهدوء ما حدث . لقد كنا نحن

الاثنين في ثورة غضب، ولكن لم يمنع الغضب الرغبة العاطفية بل بالعكس ..

لا يوجد إذن ما يجعلك تستمرين في حالة الثورة هذه في الوقت الحالي ..

أدارت له "سارة" ظهرها دون أن تنطق كلمة .

وأصبح الصمت ثقيلاً ، وأخيراً أطلق "جوناثان" زفرة وهو يغتمغم :

- كلميني يا "سارة" ! أرجوك !

عندما سمعت صوته ، لم تدر ما ينبغي عليها أن تفعل ... أتلقى بنفسها بين

ذراعيه ؟ أم تخرجه من حياتها ؟

كان القرار فورياً ، لقد ذهب عنها كل توترها :

- أنت غشاش ... أنت تعلم أنني لن أقاوم رسالة مثل رسالتك عندما أكون

متعبة ..

- إنني أستخدم كل أسلحتي يا حبي . وبالنسبة لهذه الساعة ، أرجو أن

تضعي نفسك مكاني لقد كنت قلقاً على سلامتك .. لم أفكر في الأمر ،

وتوليت القيادة دون تفكير .. بحكم العادة ..

- إن آل "هيللي" أولاد مدللون ، فاسدون ، لا يرفض أحد لهم طلباً .

- إلا أنت .. إنني أتساءل كيف تحملتك ؟

جذبها بلطف ووسد رأسها كتفه ..

- افترضني أنني كنت مكانك في حجرة ضغط الهواء .

وتركنا الفواصة التي ضاعت منا . وانتظر أن أنقل إلى حجرة "سيز توكر"

ورثائي تعانين الاحتضار أولاً من التشنجات ، والألام التي لا تطاق في

المفاصل والركبتين والكوعين . ثانياً : وأنا أصرخ وقد تكور جسمي وأتنفس

بصعوبة ...

صاحت "سارة" وهي تلتصق به أكثر فأكثر :

- قف ! وأرجوك ألا تحارب "ليو وريتش" هل فهمت ؟

- حسناً . ما رأيك أن ننام بعض الوقت قبل العشاء ؟

قال ذلك في همس ، وهو يداعب شعرها ، هزت رأسها موافقة وهي شاردة ، ثم

سكن جسدها بين ذراعيه من الإرهاق .

الفصل الثالث عشر

كلما تقدم الربيع ، استقر نظام العمل وتتابعت الأيام متشابهة . مرت الساعات فوق " سيز توكر " متلاحقة . كان أعضاء الفريق أحيانا يلعبون الورق ، ويقرعون أو يشاهدون أفلاماً سينمائية . وكانت " سارة " تذهب مع " إيد " من وقت لآخر لمراجعة بعض الأمور في القاع ، والتي كان الفريق يعمل عليها . اكتشفوا عدة سفن إسبانية ، الأمر الذي أبهج الحكومة المكسيكية ؛ لأنها كانت مشتركة في أعمال الغوص والبحث عن الحطام وتحصل على الثروات . في حين كانت " سارة " تشعر بالإحباط المتزايد ، هي وزملائها .

بعد أن قضوا خمسة أسابيع في البحر ، عادوا إلى جزيرة " النمر " كي يحصلوا على التموين اللازم ، وقضوا ثلاثة أيام بدون عمل بسبب انقطاع إحدى الدوائر اللاسلكية ، فانخفضت معنوياتهم إلى الحضيض . قررت " سارة " أن الجميع في حاجة إلى الترفيه لإزالة التوتر عنهم ..

عندما وصلوا إلى الجزيرة ، ذهبت " سارة " مباشرة إلى معمل " چيل " ، ولكنها لم تجد أحداً هناك وأرادت أن تذهب إلى الورشة المجاورة كي تسأل الصناع هناك عما إذا كانوا قد رأوها ، ولكن أبواب الورشة كانت مغلقة . وعندما همت " سارة " بفتح الباب ، خرج فتى صغير ، وقال لها :
- " إن " چيل " لا بد أن تكون في المطعم بالمحطة . "

وأخيراً التقت الزميلتان وسط الطريق ، ودهشت " سارة " عندما وجدت " روسيل " برفقة " چيل " ، وبعد أن حياها أخبرها أنه مر بالمعمل في أثناء إحدى جولاته التفتيشية على مباني الفندق والنادي وتعاطف مع مشاكل " سارة " التي انتهزت الفرصة وطلبت منه أن يسمح للفريق باستخدام ملاعب التنس وأحواض السباحة وملاعب الجولف حتى يتم إصلاح الأعطال .

قال لها متهمكاً وهو يبتسم :

- إن لديك أحد أفراد " هبلي " تحت يدك .. فلماذا تريدين ابتلاع واحد آخر ؟ أعتقد أنك تعرفين أن " جوناثان " ، قد طلب زيادة في الدعم المالي لأبحاثك في

مجلس الإدارة الأخير ؟

فانفجرت " چيل " ضاحكة :

- لا تعيريه انتباهك يا " سارة " . إنه يحب معاكسة الناس .

أكمل " روسيل " حديثه :

- ومن ناحية أخرى فإننا لم نعد نشاهد " جوناثان " في الحفلات الاجتماعية . فكان علي أن أشرح للجميع أنه اكتشف في نفسه موهبة علم الآثار البحرية .

قالت " سارة " وهي تبتسم :

- إن الزيارة ليومين أو ثلاثة ليست فيها مبالغة عاطفية تدفعه للانضمام للفريق . - أخشى أن تصبح جزيرة " النمر " هي مقصده ، ولكن ... لماذا لا يذهب مثلاً إلى جزيرة " ماجير " ؟ فلدي هناك صديق يمكن أن يقدم له سعراً لا يقبل المنافسة ، فقد أدبت له خدمة كبيرة ، وسيرتب إقامتكما على أكمل وجه .

دعاهم " روسيل " هذا المساء للعشاء ، وبلغ به الكرم أن قدم شيكا باسم " سارة " يغطي تكاليف إقامة الفريق كله في جزيرة " ماجير " . قبلت " سارة " منه الشيك ، وفهمت ما يقصده . لن تستطيع جزيرة " النمر " أن تستغني أبداً عن جزيرة " ماجير " .. ولكنها في النهاية لم تذهب إلى جزيرة " ماجير " ، وإنما فضلت أن تتبع " چيل " إلى مدينة المكسيك كي تحضر آخر العينات للمعمل .

أرادت الزميلتان أن تحصلا على إجازة قصيرة ، وعند عودتهما كانت " سارة " تحس في نفسها نشاطاً ، وقررت أن تضيف ساعة ونصف الساعة إلى ساعات العمل اليومية ، حتى يمكن تعويض الوقت الضائع . وبمرور الوقت بدأت تحس بالعذاب أكثر من الآخرين ، لأنها هي التي كانت تتحمل المسؤولية . كانت تحمل على كتفها أوزار الفشل والنجاح لهذه البعثة .

حضر " جوناثان " إلى الخليج بعد أسبوعين ، كي يمضي عطلة نهاية الأسبوع معها . عندما خرجت " سارة " من الغواصة يوم الجمعة بحثت عنه بعينها لأنها كانت تحس بشوق جارف له . تقدم لتقبلها ، وانتظر حتى انتهت من تقريرها وقبل أن يصحبها إلى المقصورة . كان " جوناثان " قد وصل فوق

سطح "سيز توكز" من حوالي نصف الساعة ، وكان كل ما سمعه من "شارلي لورنس" لم يسره تماماً ، وكانت "سارة" منهكة ولا تريد أن تعترف بذلك .

وما إن انغلق الباب ، حتى استعد "جوناثان" للمعركة ، فأمسك بـ "سارة" من يدها ، وقادها حتى المرأة :

- انظري إلى نفسك يا عزيزتي .. أنت على وشك الانهيار من الإجهاد من لحظة لآخرى .

دهش تماماً عندما وجدها لا تعارض ، وإنما جلست على السرير ، وبدأت في تدليك رقبتها .

- هذه آخر ساعة أقضيها فوق سطح السفينة وغداً لن أنزل إلى الغواصة .

فجأة أحست بالقلق الشديد ، فاستدارت وألقت بنفسها بين ذراعيه . قال لها هامساً :

- لقد اشتقت إليك .

كان ردها الوحيد أنها اندفعت تقبله بحرارة ، حتى أحست باليأس فاشتعلت رغبته كما تعود كلما وجدها بين ذراعيه .

أحست بالامتنان له ، وبدأ النعاس يداعب عينيها بعد أن زال عنها التوتر والإرهاق .

مر اجتماع المساء بون مشاكل . وكانت المشكلة خاصة بأحد محركات القوارب البخارية الصغيرة ، الذي كان في حاجة إلى إصلاح ، وكان "ليو" يرى أنه

يمكن إصلاحه بون الحاجة إلى رفعه فوق الأرض ، وفي اللحظة التي استعد فيها الجميع لجمع مذكراتهم والرحيل ، رفع "جوناثان" يده قائلاً :

- أرجو أن تعيروني انتباهكم !

- جلس كل من كانوا قد نهضوا ، فقال :

- لقد تمت الموافقة على منحكم الأموال الإضافية التي طلبتموها ، وفيما عدا ذلك فلدي سؤال أود أن أطرقه : هل أنتم راضون عن استخدامكم للوقت ؟

فتحت "سارة" فمها ، ثم أغلقتها ، ثم سألته أخيراً :

- هل لديكم تعليقات ؟

كانت هناك فعلاً تعليقات . كان الجميع قلقين بالنسبة لمسألة الصحة والجسد والأخلاق .

ورغم عدم وقوع حادث معين يؤيد تلك الشكوك ، إلا أنه بقي هناك ما يثير جوا من القلق وعدم الراحة . كانت "سارة" غاضبة :

- لو كنت رجلاً لما قلتم هذا الكلام .

اعترض "جوناثان" على قولها :

- لو كنت رجلاً لأحسست أنك لست مجبرة على الاستمرار متجاوزة طاقتك .

استدار ناحية طبيب البيعة "مارني واينز" .

- كيف كانت حالها في آخر فحص يا دكتور ؟

- حسنة ، ولكنها كادت تموت في الصباح .

- قبل أن تثير "سارة" مشاكل خطيرة ، أود أن تكلف غطاساً جديداً ، بدلاً منها ومن "إيد" ما رأيك ؟

ذكرته "سارة" في الحال بأن المشروع الأصلي كان يتضمن ثلاثة غطاسين . قال "إيد" :

- لو أن لدينا غطاساً مؤهلاً في مستوى "سارة" فلن نتردد لحظة في استخدامه ، ولكن أين نجده ؟

اعترضت "سارة" :

- وكيف ندفع أجره ؟

قاطعها "جوناثان" .

- إنني سأهتم بذلك . ولكنه أثناء تفكيرنا في ذلك فإنني أتساءل :

- أليس من الأفضل أن نعود إلى جدول المواعيد العادي ؟ إن بحاراً إضافياً لن يتعب "ماكس" أو "جيم" .

لم يكن "ماكس" و "جيم" وفقاً لما تعرفه "سارة" بحاجة إلى التخفيف عنهما ، وقد أفحم كلام "جوناثان" "سارة" فأخذت تغغم :

- ما رأيكما . يا "جيم" ويا "ماكس" ؟

ذهلت سارة من الإجابة التي تلقتها .

كان جيم مرهقا من إدارة الغواصة في ركن كامبتش بانك شديد الوعورة وإنه في حاجة إلى الراحة . أما بالنسبة لـ مآدس فقد أعلن أنه قد راقب الشاشة مدة طويلة ، حتى انتهى به الأمر إلى عدم رؤية شيء بعد مناقشة استغرقت عشر دقائق . نهضت سارة بعد أن أخذت نفساً طويلاً .

- سنعود إلى استخدام المواعيد الأولى ، وسأمنحك راحة لمدة نصف يوم كل أسبوع . وأرجو المعذرة لأنني لم أكتشف مبكرة أنك مرهقون . سأطلب القهوة من كلارا وسنتناولها في الصالون حيث ننتهي من الحديث في بقية الأمور .

استمر الاجتماع نصف ساعة أخرى ، وقد بدا الوقت لـ سارة أنه بلا نهاية . وعندما توجهت إلى مقصورتها وقد أطرقت برأسها وهي صامتة ، كانت تبدو مكتئبة للغاية . وكان جوناثان يسير بجوارها ، فسألها عندما أصبحا بمفردهما :

- هل أنت غاضبة مني ؟

أقلت بنفسها فوق السرير بون أن تنتظر إليه :

- لا .

قطب جوناثان جبينه . كان ينتظر أي شيء عدا هذا الانهيار الذي يشبه الهزيمة .

- ربما كنت في حاجة إلى نظرة جديدة تأتيك من الخارج .

- على الأقل لم أستوعب دروس رئيسي الفاريدو . إنه لم يكن قائداً ، بل دكتاتوراً .

نهضت فجأة وأسرعت ناحية حجرة الحمام وهي تجري . عندما عادت ، كانت قد ارتدت قميص نوم وقد انتفخت عيناها . انزلقت داخل الأغطية بالقرب من جوناثان الذي كان راقدا بالفعل قبلها . ثم أطفأ النور وتمنى لها نوما هادئاً ، وقد أخذ يداعب شعرها .

- توقفي عن تعذيب نفسك من أجل ما حدث ، فلا يوجد شيء كامل . لقد أنجزت عملاً رائعاً .

فصعدت الدموع ثانية إلى مآقيها :

- إنهم لم يستطيعوا أن يخبروني ، فلجأوا إليك . إنك لم تحضر هنا سوى ثلاث مرات ، ومع ذلك فقد احترموك ، وأعجبوا بك . إنني أكاد أموت حسداً . إننا لسنا رغم ذلك في منافسة ، أتصرف وكأننا فعلا في منافسة . سألها جوناثان برقة :

- هل هذا ما ورثته أيضاً من الفاريدو ؟

ساد بينهما الصمت . ثم همست أخيراً :

- بدلاً من أن أسمع نصائحك ، أخذت أعارضك ، ربما لأنني عندما أكون معك في السرير لا أعرف أن أقاومك ، فبحثت عن مجالات أخرى لتحقيق ذلك كي أثبت أنك لا تسيطر علي كلية .

ضحك وهو يضمها إليه ويقول :

- لم يوجد بعد من يستطيع السيطرة عليك ، أنت أكثر النساء استقلالاً في العالم وأكثرهن عطاءً أيضاً . أليس هذا ما تودين أن أقوله ؟ هذا هو التناقض الذي سحرني كما لم يسحرني شيء من قبل .

أخذ قلب سارة يدق بعنف :

- إنها الرغبة التي تجعلك تقول هذا ..

- حسناً . إذن علاقتنا ليس لها معنى ، وأن كل ذلك ليس سوى تسلية كبرى . هيا نستغل ذلك ولا نفكر في الغد .

ابتسمت سارة وقالت :

- بصراحة يا جوناثان

- اصمتي وقبليني ..

جاء شهر يونيو بعد مايو ثم رحل شهر يونيو ليحل محله شهر يوليو وازداد الضغط على سارة وكان الفريق يتوقع منها ألا تتخذ قرارات صعبة فحسب وإنما أيضاً أن ترفع من روحهم المعنوية . لم يكن مسموحاً لها باليأس ، حتى لو كانت أكثر العينات أهمية ذات نتائج

سلبية . ولم يكن باستطاعتها أن تبكي ، أو أن تحس بالإحباط رغم مواجهتهم جميعاً سلسلة من المشاكل الفنية وعقبات منوعة . ولحسن الحظ كان المهندس ورئيس الميكانيكيين على أعلى مستوى من الكفاءة . ولكنهم أضاعوا وقتاً طويلاً والبرنامج المفروض تنفيذه أصبح مجهول النهاية رغم أنه كان من المفروض أن ينتهي في منتصف شهر أغسطس (آب) .

بدأ " جوناثان " ينضم إلى " سارة " في كل عطلة نهاية الأسبوع ابتداءً من الصيف .

لم تكف " جيل " عن الإعجاب " بالرجل المعجزة " ، هكذا كانت تعتبره .. ردت عليها " سارة " في إحدى المرات وهي تضحك : " إنه معجزة بالنسبة لامرأة ساذجة مثلاً " .

ومن ناحية الخطة المهنية ، لم تحدث أية مشكلة ، كانت القرارات تتخذ بطريقة جماعية ، لأن الجميع كان حراً في إبداء رأيه ، ومن هنا كان الجو السائد ممتازاً ولا يبعث على التوتر .

والحادثة الخطيرة الوحيدة قد وقعت في منتصف شهر يونيو . كانت " سارة " وإيد " يستخدمان خليطاً من غازي " الهليوم " والأكسجين يسمى " هيلوكس " وهو ما يجنبها ما يسمى بـ " نوار الأعماق " نتيجة للهواء المضغوط . وفي أحد الأيام بعد حوالي عشر دقائق من عملها عندما بدأ " إيد " يقفز ويحرك " الماغنيتومتر " وكأنه لعبة . اعتقدت " سارة " أنه يمزح عندما رآته يلقي بالجهاز عن عمد ويتحرك بدون هدف . نزع خرطوم أنبوب التنفس وقدمه إلى سمكة ، فأمسكت " سارة " به من أحزمة زي الغطس خلف خزان الهواء وقادته إلى الفواصة .

لم يمض وقت طويل في فحص محتويات خزانات الهواء ، كان الهليوم في الحقيقة الذي كان يحتوي عليه " الهيلوكس " قد أدى إلى الضغط على الأحبال الصوتية ، وأصبح " إيد " بعد عشر دقائق يتكلم بطريقة " دونالدك " في أفلام " والت ديزني " .

إلى هنا والأمر يبدو طبيعياً ، كل ما هو مطلوب بعض الهواء المضغوط .

ومن المؤكد أنهما لم يكونا في خطر حقيقي ، ففي حالة وجود مشاكل كان من الممكن أن يحضر " جيم " و " ماكس " لمساعدتهما . ولكن ذلك بدأ غريباً . عندما علم " جوناثان " بذلك ، ثار غضباً وركب أول طائرة وأخضع كل الفريق إلى تحقيق دقيق . تم تحديد الخطأ . يبدو أن بحاراً مكسيكياً اسمه " إميلييو أورتيز " قد أخطأ وهو يقوم بملء الأسطوانات . ورغم اعتراضات " سارة " أصر " جوناثان " على طرده وترحيله إلى الجزيرة . وتطلب الأمر يومين حتى عادت الأمور إلى طبيعتها .

* * *

فهمت " سارة " في منتصف شهر يوليو أن من الضروري تغيير اللسان الذي كانوا يعملون عنده . لكنهم ضلوا الطريق ، ووجدوا أنهم قد يصلون إلى " سان أنطونيو " في كويا . وهناك قاموا بتفتيش المنطقة التي تم العثور فيها على الهلب الحجري . تركت " سارة " الفريق في جزيرة " ماجير " ، ثم طارت إلى " واشنطن " ، وطلبت مقابلة الأدميرال " تايلور " ، فقد كان الأمر يتطلب تصريحاً رسمياً إذا كان لابد لهم من أن يغامروا بالبحث في المياه الإقليمية لـ " كويا " .

حصلت على التصريح دون صعوبة ، وأدهشها أن قدم " تايلور " شرحاً :
- إذا ضايقوكم ، يمكن لـ " ماكس " أن يعيد برمجة جهاز الاستشعار بالموجات الصوتية تحت الماء ، وما إن يفعل ذلك ، فإن الطريقة الوحيدة لاختبار القدرات الحقيقية هي الصعود . وعليه فإن الكوبيين ليس لديهم التكنولوجيا اللازمة للتغلب عليه . وسيحطمون جهاز الصوت دون أن يفهموا نوعية ما أمام عيونهم .
أعدت " سارة " يوم الجمعة مساءً هذا الحديث على مسامع كل أعضاء الفريق وقد حضر " جوناثان " هذا الاجتماع ، وكان قد حضر إليهم صباح نفس اليوم وعقد اجتماعاً ضم كل المهتمين الرئيسيين وأعطى رأيه حول الموضوع . كان يرى أن من الخطر الداهم المغامرة بالقرب من المياه الكوبية . كان الكوبيون قادرين على اكتشاف كل شيء والقبض على الجميع وتقديمهم للمحاكمة باعتبارهم جواسيس والقائمين في السجون .

لم ينتبه الجميع لفترة ولكن بعد شهر من الفشل المتكرر . صمم الفريق على أن يحول البعثة إلى النجاح . ولو حتمتهم البحرية فإن ذلك يكفيهم . ولكن "جوناثان" لم يعر تبريراتهم أي انتباه .

عقد ذراعيه فوق صدره ، وأعلن أنه يرفض الموافقة على تلك الخطة . اعترضت "سارة" .

- لا يهم . على أية حال سنستمر بك أو بدونك .

- ليس بدون وقود أو مال . بعد أن أرسلت كل الناس إلى جزيرة "ماجير" أراهن أنه لم يبق معك سنت واحد . وبدون نقود لن تستطيعي التحرك إلى أي مكان .

سألته بصوت ناعم :

- إنني لم أسمعك أبداً تتحدث عن الائتمان .

- يا عزيزتي . إنك تتحدثين مع رجل بنوك ، ويكفي أن أجري مكالمة أو مكالمتين تليفونيتين وتنقطع كل الأموال المودعة لحساب المشروع .

- "جوناثان" !

- ماذا؟

نظرت حول المائدة . كان الجميع يبتسم ... اقترح "إيد" وهو يعازيها :

- قولي له : إنك لن تنامي معه ما لم يسحب اعتراضاته .

قاطعها "جوناثان" ساخراً :

- لقد حاولت ذلك مرة ، ولكنها لم تفلح .

ضحك كل الحاضرين ، فنهضت "سارة" وهي تحدث صوتاً بمقعدها وقالت :

- عندما تنتهوا من نكاتكم السخيفة ، أرجو أن تخطروني . أنا موجودة في مقصورتني .

عندما وجد "جوناثان" أن "سارة" قد رحلت ، عرف أن الحفل فسد . لقد

أصبح بمفرده ضد الجميع . وإذا ما تسبب في فشل مشروع "سارة" فلن

تغفر له ذلك أبداً .

زفر وهو يهز رأسه :

- يا لها من شخصية !

لم يعد أحد يضحك . وبعد بضع لحظات من الصمت المخرج أعلن "شارلي لورنس" :

- أعتقد أن بإمكانني الحديث نيابة عن الجميع يا "جوناثان" . سنستمر في المشروع بطريقة أو بأخرى .

- موافق .. ولكن .. لماذا لا ننتظر بعض الوقت كي تحصل على الضوء الأخضر من الكوبيين؟

- إن موسم الأمطار يقترب ، وليس لدينا وقت .

- اسمع . إن شركتي تتفاوض بشأن اتفاقات مهمة مع الكوبيين . وفي حالة تدهور الأمور فإنني سأستخدم كل قوتي وثقلي ، كي أضغط عليهم . ولكن لن

أستطيع أن أشترك في هذا الأمر ما لم تمنحوني حرية اختيار الطريقة لمنع ارتكاب حماقات ، وذلك عن طريق منحي السلطة المطلقة فوق السفينة .

انتهى بهم الأمر إلى الاتفاق على وجهة نظره ، ولم يبق سوى مشكلة "سارة" .

عندما أخبرها "جوناثان" عن الكيفية التي سارت بها الأمور ، أصبح من حقه الحصول على أجمل منظر رآه في حياته ! لقد أراد السيطرة عليها

وإستخدامها كأحدى ممتلكاته ولم يبحث إلا عن السلطة ... فاستبد بها الجنون والغضب وانتهى بها الأمر إلى طرده من المقصورة . ثم صاحت بعد أن ألفت وراءه بحقيبة سفره :

- لا تنس أن تأخذ هذه اللعينة معك .

تناول الحقيبة ، دون أن ينطق بكلمة ، وتوجه ناحية الباب وهو لا يفهم ما يحدث ، وكانت "سارة" تنظر إليه بعواطف متناقضة تماماً .

لقد حصل "جوناثان" على موافقة جميع أعضاء الفريق ، فلماذا إذن ترفض أن تتعاون معه؟

صاحت وهي تضع يدها على مقبض الباب :

- لقد مللت من أن ألعب لعباً نظيفاً . وسنمت من ادعائك أنك تفعل ذلك لمصلحتي وكأنني سانجة ، وعاجزة ، ومخدوعة ، وغير مسؤولة ، وأنت هنا

لحمايتي فقط !

عندما استدار فجأة ، ضبظت في نظرتي لعاناً ينبئ عن عذاب لا حدود له ، حاول أن يخفيه تحت قناع عدم الاهتمام .

- لقد حدث أنني أصبحت عاشقاً لك ، ولكن يبدو أن هذه ستكون آخر إهانة منك لي .

أخذت "سارة" ترتعد كورقة في مهب الريح :

- هذه مشكلتك .. لم أطلب منك شيئاً .

- إنني مدرك لذلك تماماً . ولا أشك أيضاً في أنك يمكنك أن تستمري في حياتك دوني ، ومع ذلك ، فإن هذا لا يمنعني من أن أقلق ، ولا بد أن يسبب لي ذلك مشكلة .. ثم استدار وقال :

- تصبحين على خير يا "سارة" .

فجأة لم تعد تحتفل أن تراه يرحل ، رغم أنها هي التي طردته . أحست باليأس وغليان العاطفة ، فمسحت دموعها بظهر يدها وعبرت المقصورة كي تنتظر من النافذة الدائرية إلى الممر ، انتظرت في قلق صوت فتح الباب وغلقه ، ولكن ذلك لم يحدث . ثم سمعت صوت أقدام "جوناثان" تتجه نحوها ، وضع يديه فوق ذراعيها . فاستدارت وارتعت في أحضانه وهي ترتعش من البكاء .

الفصل الرابع عشر

كان "ماكس ليبرمان" على حق، فإذا نظر المرء طويلاً إلى شاشة جهاز الصوت يتحول كل شيء في عينيه إلى شبكة من الخطوط الغامضة والدوائر التي ليس لها معنى . وقد حدث ذلك بعد ثلاثة أيام من وصولهم إلى اللسان المطل على "كوبا" ، إذ لم يعد يرى شيئاً . لم يتوصلوا حتى للعثور على الهلب الحجري وبالتالي على السفينة التي ينزل منها .

كان من الواضح أن الكوبيين - رغم علمهم بما يحدث وما يوجد بين الانقراض وما يرون بأعينهم . في نهاية الجزيرة - لم يتحركوا .

عندما تحين الفرصة ، سيحدث ذلك بسرعة لن تصدقها "سارة" .. ظهر على الشاشة ذلك الشيء المثلث الشكل ، وكان يشبه الهلب إلى درجة كبيرة ، حتى ظنوا أن ذلك مجرد وهم أو خداع نظر ، كان مغروساً تحت عمق عشرين متراً ، ويظهر الجزء العلوي منه فقط ، وقد تغطى بالرواسب ، وكانت العواصف قد أزالته تلك الرواسب بشكل ظاهر... قالت "سارة" لـ "ماكس" :

- سأذهب للبحث عن "إيد" و "جوناثان" .

كان الرجلان يقتلان الوقت بلعب الورق في حجرة ضغط الهواء . وبعد عدة دقائق كانا ينظران إلى الشاشة ، في حين أخذ "جيم" يناور كي يفحص اكتشافاتهما من جميع الأوجه .

لبست "سارة" و "إيد" زي الغطس في صمت مليء بالإثارة ...

ما إن وصلا إلى المكان ، حتى أخذوا في نزع ذلك الشيء بأيديهما . عندما أتتا ذلك ، صعدت قطعة من الطمي اللين إلى السطح ، وأظلمت نطاق بحثهما . حفرا ثقباً بالأتتهما حول الهلب ، ولكن على مسافة بعيدة جداً عنه . وفي لحظة معينة وضعت "سارة" يدها فوق قطعة مستديرة وملساء من الحجر . أشارت عنها إلى "إيد" ، فاكتشفا أنها قطعة من كومة حجارة ، وكان البحر مليئاً بهذه

البقايا والشظايا، وكانت السفن تلقي بالأحجار لتخفف من حمولتها ، قبل أن تذهب لتحميل البضائع . كانت الحجارة التي عثر عليها " إيد " و " سارة " من ذلك النوع ومن المحتمل أنها سقطت منها نتيجة لجنوح باخرة بسبب العواصف .

ولما لم يظهر أي أثر للحطام ، عادا إلى الهلب واستطاعا بعد جهد جهيد ، أن ينتزعاها من مكانه .

وعندما خرجت " سارة " و " إيد " من حجرة الضغط كانت الغواصة قد رفعت ، ووضعت فوق السفينة . وكان كل الطاقم بانتظارهما فوق السطح ، واستقبلوهما بالصياح والهتاف والتصفيق .. أخذت " جيل " تداعب الهلب وهي تقول :

- كم هو جميل .

صاحت " سارة " وقد تقطعت أنفاسها :

- إذن ... أين الاحتفال ؟

تقدم " جوناثان " نحو " سارة " وقد التمعت عيناه وقال :

- تهنتني لك .

لكنها ظلت بعيدة عنه ، واكتفت بتقبيله .

منذ أن تولى السلطة في إدارة العمليات - والتي لم تر هي أي تغيير حدث منذ توليها - نشأ بينهما نوع من التوتر الخفي . وقد يرجع أيضاً إلى إرهاب " سارة " التي استجمعت كل قوتها كي تفوز . ومع ذلك فإن تلك المسافة التي باعدت بينهما قد اختفت في الليل .

بدأ الفريق يتجه في اليوم التالي نحو الشرق ببطء . اكتشفوا في نهاية فترة ما بعد الظهر هلباً آخر ، ولكن لا أثر هناك للسفينة نفسها .. ملأت " سارة " حقيبتها بأشياء متنوعة . أحست أنها قد تقودها في طريقها الصحيح . وكان أكثر اكتشافاتهم إثارة ، جرة غير معروفة الطراز . مما جعل " سارة " أكثر تفاؤلاً . ويبدأ أنه لا مفر - من لحظة لأخرى - أن يكتشفوا الحطام والبقايا التي يبحثون عنها .

استغرق منهم إخراج الهلب الثاني يومين ، ثم تابعوا طريقهم . وفي صباح أحد الأيام عثروا على أوان فخارية جديدة ، وأحجار مستديرة ولا أثر هناك للسفينة . عندما ظهر الدليل الذي كانوا يبحثون عنه كان ذلك بمثابة خلاص غير متوقع . كانت " سارة " تلعب الورق مع " إيد " و " جوناثان " في حجرة ضغط الهواء عندما وصلهم - بالميكروفون الداخلي - الخبر الذي جعلهم جميعاً يصيحون :

" يا إلهي ! "

ألقوا بالورق جميعاً في الحال ، وأسرعوا ناحية الشاشة . رأوا هناك صورة فوتوغرافية واضحة ترسم مقدمة السفينة وبجوارها تماماً " هلبان " . كانت السفينة مغروسة بعمق كبير في الطمي ، وطولها حوالي ثلاثين متراً ، وهي دون شك غريبة وغير مألوفة وسليمة .

وقف " جوناثان " بالقرب من " ماكس ليبرمان " و " جيم " ، يراقب " إيد " و " سارة " وهما يعملان ، وقد ظهرت فقائيع الأكسجين . وبعد مدة أخذ يفرك عينيه وقد تعب من الحلقة في الشاشة . ثم قال لهما :

- أتريدان أن تشربا شيئاً ؟

وافقاً ، وذهب " جوناثان " كي يحضر علب المتلجات من الثلجة . وعندما عاد لاحظ ظلاً فوقهم . فأخذ يتفحصه وهو يفتح العلب ، ثم قال بهدوء :

- يبدو لي أن هناك سفينة تحتنا على اليمين بعض الشيء .

رفع الرجلان عينيهما ، وفي الحال نادى " ماكس " الغواصة ، وبعد محادثة قصيرة مع " شارلي لورنس " تأكدت شكوكهم . لقد لاحظوا هم أيضاً الباخرة . وقاموا بتحديداتها والتعرف عليها . كانت باخرة كويتية . أعد " كلاي " تقريراً منظماً وافياً وعلمياً حول الاكتشاف الذي قاموا بتحقيقه .

في ذلك الوقت أشار " جوناثان " إلى " ماكس " أن يتحدث عن الحطام

في ذلك الوقت أشار " جوناثان " إلى " ماكس " أن يتحدث عن الصطام والكهوف مع الغطاسين كي يبدو طبيعياً أمام الكويبين الذين كانوا دون شك يتصنتون عليهم .

عندما انقطع الاتصال ، تحول " ماكس " إلى " جوناثان " وقال :
- والآن .. ماذا نفعل ؟

- استدع " إيد " و " سارة " بحجة أن هناك مشكلة فنية . عليك أن تعيد في الحال برمجة الكمبيوتر .

- أنخطر " سارة " بالتعديل ؟

- لا .. هي بالذات .

- حسناً .

بدأ " ماكس " بالضغط على مفاتيح الكمبيوتر ، وعندما رأى " جوناثان " أن " إيد " و " سارة " قد لحقا بغرفة الضغط ، ضغط على زر الميكرفون الداخلي وصاح :

- " سارة " ؟

- نعم .

- هناك باخرة كويبية تراقبنا ، وهي أمامكما على اليمين بعض الشيء .
تبادلت " سارة " النظرات مع " إيد " ، وأحسا بالقلق والدهشة في آن واحد .
- والكمبيوتر ؟

- تم تعديله ولكن .. ولكن ما هذه الصدمة ؟! أحست " سارة " فجأة بالغواصة تتراجع بكل قوتها ، وأحست بعدم الراحة من وجودها محصورة في حجرة الضغط وقد انقطعت عن بقية العالم .

- إنهم .. إنهم يستعدون لإطلاق (طورييد) ويبدو أنه مر أمامنا . انتبهوا إلى ما سيحدثه من نومة .

صاح " إيد " :

- طورييد ؟

- نعم .. احتفظ بهدوء أعصابك وانتبه .

بعد خمس ثوان ، أخذت الغواصة تهتز وكأنها ريشة في مهب الريح ، وكانت الكلمات التي استطاعوا التقاطها باللغة الإسبانية .

وكان الكويبي الذي يتكلم اسمه " الكولونيل دوران " وطلب منهم تعريف أنفسهم .
احتج " جوناثان " بقوة ، وهو يشير إلى القواعد والأعراف الدولية .

سألت " سارة " " إيد " الذي كان يفهم الإسبانية :

- لماذا لم يطلب من " جيم " أن يصعد ؟ إذا فتشوا الغواصة فلن يجدوا شيئاً .

- أعتقد أنهم تأثرون من الناحية الشكلية .

جلس " إيد " على مقعد " سارة " :

- على أية حال ، فانا مسرور لأن " جوناثان " موجود فوق سطح السفينة كي يواجه الموقف .

جاء صوت " جوناثان " في الميكروفون :

- سنصعد ، ولكنني أريد أن تكونوا على اتصال بالأميرال " كوينتيرو " وأن تخطر به بأنكم هاجمتم بعثة آثار تحت قيادتي أنا " جوناثان هيلي " من مؤسسة " ماكميلان وهيلي ولينش " لقد دعي " م . جيرالد لينش " ثلاث مرات لزيارة كوبا هذا الربيع وهذا الصيف . وقد ناقش شروط عقد مهم جدا مع الرئيس " كاسترو " شخصياً .

- اصعد للسطح يا سيد " هيلي " ... سنقودك إلى ساحلنا .

مضت فترة صمت قصيرة ، ثم قال " جوناثان " بالإنجليزية :

- لقد قطع صديقنا الكويبي الاتصال يا " جيم " هيا بنا نذهب .

ووضع " إيد " ذراعه حول كتف " سارة " ، وقام " جوناثان " بإخطار " لورنس " لاسلكياً بما يحدث ، وطلب منه ألا يتحرك ، وأن يخطر السلطات الأمريكية .

ظهروا بالقرب من الباخرة الكويبية ، وتطلعوا في صمت فوجدوا ثلاثة رجال من الضفادع البشرية يغطسون ، ثم يربطون حبالاً بالغواصة كي يرفعوها فوق

سطح الباخرة . اهتزت الغواصة بطريقة مخيفة قبل أن تصطدم بالسطح بعنف . خرج " جوناثان " أولاً . وقد استقبله ستة أشخاص مسلحين ، وقد

صوبوا بنادقهم نحوه . تقدم ناحية القائد وهو يقدم نفسه ، وبدأ حديثه
بسلسلة من الاعتراضات ، وتقدم بحاران منه ، واضطراه إلى أن يقف ثابتاً
ظل القائد صامتاً وهو يفحص وجهي " كلاي " و " ليبرمان " اللذين تبعوا
" جوناثان " سال " دوران " :

- وأين بقية فريقك يا سيد " هيلي " ؟

- هناك غواصان بحجرة ضغط الهواء .

- أشار " دوران " بيده إلى الغواصة :

- تفضل أمامي يا سيد " هيلي " ... ليس كل يوم يستطيع المرء أن يشاهد
جهازاً معقداً مثل هذا .

لم يكن أمام " جوناثان " فرصة الاختيار ، إذ يجب عليه الطاعة ، سحب
" دوران " ومعه ضابط آخر وأربعة جنود مسلحين ، وما إن دخلوا الغواصة ،
حتى أشار " دوران " بإصبعه إلى الباب المستدير الذي يقود إلى الحجرة ،
وحاول أحد الرجال فتحها . أراد " جوناثان " أن يسارع إليها ، ولكنه وجد
نفسه في مواجهة فوهة بندقية . قال " جوناثان " لـ " دوران " :

- لقد فهمت خطأ دون شك . بقيت ثلاث ساعات ونصف من الضغط للغطاسين
بالداخل .

- أه .. نعم : مرض الأماكن المغلقة ، يقال أن الألم رهيب .

أشار " دوران " إلى رجلين ، بأن يسحبا " جوناثان " للخلف ، فأمسكا
بذراعه . فتحت البوابة . كانت " سارة " و " إيد " واقفين داخلها ، أمرهما
القائد بالخروج ، فتقدما للأمام .

لم يفت " جوناثان " اللمعان الذي ظهر في عيني " دوران " عندما شاهد " سارة " .
- أقدم لك السيد " إيد ستموني " و " دكتورة سارة بايرز الفاريدو " وهي أرملة
الاستاذ " هومير الفاريدو " الذي يحظى باحترام كبير في كوبا .
- فعلاً .

تقدم " دوران " وقام بتقبيل يد " سارة " التي كانت في شدة الدهشة ، فتركت
له يدها وهي ساهمة :

- تشرفنا يا سيدة " الفاريدو " ... لقد كنت معجبا جداً بزوجه . ولكنك تفهمين
- وأنا متأكد من ذلك - أنه يجب علينا تفتيش غرفة الضغط .

لم تجب " سارة " . كانت غاضبة ومرعوبة في آن واحد . كما كان منظر
" جوناثان " وهو مقبوض عليه بين رجلين مسلحين قد أوشك أن يصيبها
بالإغماء . عندما رآها " جوناثان " تشحب أحس بالغيظ ، وبأن الألم الذي تعانیه
لا بد وأن يكون غير محتمل .

- بحق السماء يا " دوران " أرجع صديقي إلى حجرة الضغط ...

- سنرى ذلك فيما بعد .

دخل الضابطان في الكابينة وقلباها رأساً على عقب وهما يفتحان كل شيء
ويستخدمان السكين في تمزيق المراتب وبيعثران الأوراق ويمزقان الكتب . قال
" دوران " وهو يغلّق باب المدخل المستدير خلفه :

- والآن ... بقية غواصتك يا سيد " هيلي "

- عندما يعود الغواصان إلى الحجرة ..

- إن هذا الأمر يدهشني .

هز " جوناثان " كتفيه :

- إنك تعرض وظيفتك للخطر يا كابتن ...

وقبل أن تتعدي .. أنصحك للمرة الأخيرة أن تتصل بالأدميرال " كوينتيرو "
وتخبره بأنك بصدد تحطيم الاتفاقات الاقتصادية وتحمل بذلك قضية لا قبل لك
بها فوق ظهره وأنت تعذب أرملة " هومير الفاريدو " وتهينها .

- سيبقى غطاسوك هنا الوقت الذي يحلولي . فهم " جوناثان " . أنه لا فائدة
من وراء الإلحاح .

صاح وهو يصر على أسنانه :

- اذهبوا وأحضروا " كلاي " و " ليبرمان " وأنا شخصياً لا أفهم شيئاً عن
هذا الجهاز ..

مرت عشر دقائق منذ خروج " إيد " و " سارة " من غرفة الضغط ، بدت هذه المدة
لـ " جوناثان " وكأنها عشر ساعات ، انحنى " كلاي " و " ليبرمان " فوق جهاز

الصوت البحري . وكان دوران يتحدث الإنجليزية بطلاقة وكان يبدو أنه أحد أعضاء جهاز المخابرات الكويتية . مرت الدقائق وكان وجه سارة مثل قناع من الخزف ، لا يدري جوناثان ماذا تخبئ خلفه وفجأة لمح قطبية ألم سرعان ما اختفت . بدأت سارة تحس بالكم لا يطاق في ساقها ولم يبد أن إيد كان يعاني كثيراً ، ولكن المسألة كانت مسألة وقت . ولا بد أن بجسدهما كمية كافية من النيتروجين جعلتهما يتحملان حتى هذه اللحظة .

بدأ الأكم يصعد إلى فخذها . أغلقت عينيها ، وهي تصارع الدوار . وعندما شاهد جوناثان أن وجهها قد تغير لونه قرر ألا يستمر ذلك .

- أدخل الفواصين إلى حجرة الضغط يا دوران .. لم يتحرك دوران ...

- إذا لم تعط الأوامر يا كابتن دوران . فستضطر إلى قتلي ، لأنه ليس لدي النية أن أشاهد ما يحدث دون أن أتحرك .

- ياسيد هيلي ..

في هذه اللحظة ترنحت سارة وهي تطلق أنيناً مؤلماً . ضرب جوناثان بكوعه بطن الحارس الذي كان على يساره واندفع ناحية سارة دون أن يعنى بالرجل الذي كان يصوب مسدساً إلى رأسه . صاح دوران .
- لاتطلق النار !

وسقطت سارة بين ذراعي جوناثان .

قال جوناثان وهو يتجه إلى فتحة الفواصة :

- اتبعنا يا جيم . وارفغ الضغط تدريجياً حتى الدرجة الخامسة عشرة ، وسأظل خمس دقائق بالداخل للتأكد من أنها بخير .

ما إن وضع جوناثان سارة فوق مقعد حتى بدأت تتشنج ، كان الأكم والخوف قد شد أعصابها إلى أقصى حد . ثم بدأت تهدأ وهي تستنشق الأكسجين الذي كان يقدمه لها . إيد ببطء . أخذ الأكم يقل شيئاً فشيئاً وكذلك القلق .

ما إن أخذ تنفسها ينتظم حتى تمددت .. قبلها جوناثان وهمس في أذنها أنه يجب عليه أن يخرج ، ثم استدار ناحية إيد .

- هل كل شيء على ما يرام ؟

هز إيد رأسه موافقاً ..

عندما عاد جوناثان ثانية إلى غرفة القيادة ، وجد الجو قد تغير تماماً . اختفى المسلحون وبدأ الضابطان وكأنتهما سائحان وليس من أعضاء المخابرات . كانا يتناقشان بطريقة طبيعية مع ليبرمان الذي شرح لهما كيف أن البعثة تكونت من أربعة أشهر على جزيرتي النمر و يوكاتان قبل الحضور إلى ذلك المكان . كان دوران يهز رأسه وهو يقول إنه فهم . سأل وهو ينظر إلى جوناثان .

- هل غطاساك في حالة جيدة ؟

- هذا ما يبدو ، ولكن هذا النوع من الهنر قد تكون له آثار مدمرة ، وأنت تعلم ذلك .

فضل القائد أن يتجاهل ملاحظة جوناثان .

- إن السيد ليبرمان قد شرح لنا الهدف من البعثة . وإنني أسف لأنه لم يتح لي الوقت الكافي للاستفادة من الدروس حول قدرات غواصتكم وإمكاناتها . إنهم يطلبونك لاسلكياً يا سيد هيلي : الأدميرال كوينتيرو .

تبع جوناثان دوران خارج الفواصة وظل بالقرب منه طوال محادثته مع كوينتيرو . رفض الأدميرال الاعتراف بأن ضابطه استعمل طرقاً فاشية قاسية . وادعى أن الفواصة كانت مربية . وأكثر من ذلك طلب رفع الهلب الخاص بالسفينة سيز توكر والرجيل فوراً وعلى متنها الفواصة سيثمتر وأضاف كوينتيرو عندما قبل جوناثان :

- من المؤكد أننا سننظر في المستقبل بمنظور آخر إلى أعمال السيدة الغاريدو .

والحكومة تدعوكم للحضور في الحال لقضاء بضعة أيام في هافانا . فكر جوناثان بمعنى آخر ، فإن الحكومة ترجو كوينتيرو كي يصلح الأواني المكسورة ، أعلن جوناثان وهو يضغط على فكيه أنه يقبل الدعوة بكل سرور .

الفصل الخامس عشر

كان قائد البحرية الكويبية الأدميرال "كوينتيرو" شيوعياً عن اقتناع، وسياسياً فذاً . لم يكن يحب الأمريكيين ، ولكنه كان يكره أن يؤدي تدخل "نوران" إلى وقوع أزمة دبلوماسية .

إن الكشف عن واقعة سوء معاملة أرملة "هومير الفاريدو" ستثير غضب أمريكا اللاتينية كلها . أما بالنسبة لما حدث لـ "جوناثان" فقد كان البلد يبحث عن المعونة الدولية ويسعى لجذب رؤوس الأموال ، فقد كان عملاً يتسم بالنزق . لقد أعلن لـ "جوناثان" في لهجة محسوبة :

- بالنسبة لهذه الفعلة غير الحميدة ، فقد كانت بسبب الحرص على أمن كوبا ، إذا ما أخذنا في الاعتبار الضغوط التي تمارس على بلد صغير . وطلب منه أن ينسى هذا الحادث المؤسف والنظر بإيجابية نحو المستقبل ، في سبيل توسيع نطاق المعرفة .

لم يجد "جوناثان" ما يمكن أن يعيبه على كلامه ولكن - في مقابل ذلك - طلب تفسيراً حول هجوم "نوران" . لا شك أنه كان من المعلوم السبب الذي من أجله جاءت "سارة" وفريقها . فلماذا إذن تعرضوا للمضايقة الفجائية بسبب وجود علماء الآثار الأمريكيين ؟ طلب "كوينتيرو" لحظة للتفكير ، واتصل هاتفياً بالسلطات العليا ، ثم عاد إلى "جوناثان" وأخبره أن طلبه قد قبل . لقد كان الكوبيون يعجبون منذ شهر طويلة بمتابعة أخبار أبحاث "سارة الفاريدو" في الجرائد المكسيكية والكويبية والأمريكية .

كما أنهم لم يجهلوا موضوع العثور على الهلب في عرض بحر "سان أنطونيو" وأنه كان له قيمة أثرية كبيرة ، فلم يدهشهم أن يروا "سيز توكر" وهي تتجه نحو "كوبا" ولكن بحاراً مكسيكياً ، كان قد قبض عليه منذ شهر لإدخاله بضائع ممنوعة ، أكد على أن البعثة في حقيقة الأمر غطاء لعملية جاسوسية . وكان قد اعترف بذلك من تلقاء نفسه كي يطلق سراحه بسرعة ، وادعى أنه

سمع تلك القصة من أحد أبناء عمه الذي يعمل في جزيرة "النمر" . أصر "جوناثان" بعد ذلك على معرفة المزيد ، ولكنه لم يظفر بأية كلمة أخرى . لم يكن "جوناثان" يؤمن بأفراد العصابات الذين يقبض عليهم ، ولديهم معلومات مهمة يريدون الإفشاء بها إلى الشعوب المعادية .

كان كل ذلك يمثل فخاً خادعاً . وأصر على أن يعرف القصة الحقيقية . كان قد أخطر بأنه لابد أن يذهب إلى جزيرة "النمر" أولاً عندما يغادر "كوبا" ، ولكنه غير رأيه ، وقرر الذهاب إلى "برمودا" ومنها إلى "مونت كارلو" ثم إلى "نيويورك" وكان لديه شعور بأن تلك الرحلة ستكون أكثر الرحلات ثقلاً عليه ..

كانت الليلة الأولى التي قضاها فوق "سيز توكر" بعد التحقيق الرهيب مع "نوران" .

قفزت "سارة" مفزوعة ، وقد غطى العرق جبينها ، لم تتذكر سوى الجزء الأخير من حلمها :

لقد صرع أحد الجنود "جوناثان" . وضعت وشاحاً على كتفيها ، وصعدت فوق سطح السفينة كي تطمئن عليه وهي مشحونة بالأفكار . لقد كان "جوناثان" بخير ، وكان قد توقف عند حجرتها قبل أن يرحل في الباخرة الكويبية لمقابلة الأدميرال "كوينتيرو" في "مافانا" ، وكانا قد ودعا بعضهما وداعاً مؤثراً . ومن الطبيعي أنهما سيلتقيان بجزيرة "النمر" بعد أيام .

لم تتأثر صحتها ، ولقد انتهى كل شيء على ما يرام أخيراً . وإذا ما جاءت نتيجة تحليل العينات إيجابية ، فإن مستقبلها العلمي سيكون باهراً .

بقيت بعد ذلك حياتها الخاصة . بعد أن عاشت تلك الفترة مع "جوناثان" ، فهمت "سارة" أنه يحبها حباً جماً وعميقاً ، أكثر مما كانت تعتقد . ولكن اكتشافها تلك الحقيقة أقلقها وأزعجها كثيراً وأصبحت لا تدري ماذا تفعل في ذلك .

هل يجب عليها أن تغير حياتها كي تبقى بجانبه ؟ هل تترك "جورهام" لتنتقل إلى "نيو إنجلاند" ؟

وصلت " سيز توكر " إلى " سانتا روزا " في صباح اليوم التالي: الأحد ، ولما كانت " چيل " ملهوفة على بدء اختبار الأشياء الأخيرة التي أحضرتها البعثة كانت " سارة " أكثر لهفة على تسليم العينات إلى المكسيك . وعندما عادت في اليوم التالي كان ذلك من أجل أن تعرف ماذا دار في مكالمة " جوناثان " التي لم تستطع أن تستقبلها بنفسها .

سألت " چيل " :

- بماذا أبدأ ؟ بالعينات ؟ أم بمكالمة " جوناثان " ؟

أجابت " سارة " وهي تتبع " چيل " إلى المعمل :

- بالعينات .

- إن التمثال الصغير مصنوع من حجر البشم ، وكان موضوعاً في حمام بجوار إناء من الفخار . إن له شكل نمر " الچاجوار " وينقصه المخالب والذيل . وفي حمام آخر كان هناك " نارچيلة " وعدد من الغلايين .

إن وحدات الزخرفة المتكررة فوق أنية الفخار كانت مشابهة تماماً لتلك التي عثرت عليها مع " هومير " منذ سبع سنوات مضت . أما بالنسبة لنمر " الچاجوار " والغلايين فقد سبق العثور على مثيلها في المواقع البدائية داخل باطن الأرض .

احمر وجه " سارة " من السرور وقالت :

- لم يبق سوى انتظار نتيجة الفحص بالكربون و الكوارتز . وعندما تصل النتيجة من المكسيك سنقيم احتفالاً كبيراً ... ماذا عن " جوناثان " ؟
ماذا قال لك ؟

- لقد وافق الكوبيون على استمرارك في حفائرك ، أما بالنسبة لـ " جوناثان " ، فليس باستطاعته الحضور هنا الآن ، لأن لديه عملاً عاجلاً لابد من تسويته ، وسيحضر في أقرب وقت ممكن .

أحست " سارة " ببعض الألم في قلبها . لقد أحست بالإحباط . لم يمر سوى أربعة أيام منذ رحيله ، ولكنها تحس بالشوق الرهيب إليه ، وبالنسبة للمستقبل ، فإن العلاقة التي تكون عن بعد لا يمكن أن ترضيها أبداً .

بانتهاه البعثة ، عاد بعض أفرادها لوطنهم ، والبعض الآخر إلى الخليج على سطح " سيز توكر " كي ينتهوا من بعض الدراسات الخاصة بأعماق المحيطات . بينما ظلت " سارة " فوق الأرض .
والآن وقد رفع عن كاهلها أكبر جزء من المسؤولية أصبحت تحس بالتعب الشديد .

مر أسبوع ، وذهبت كي تقضي بضعة أيام من الإجازة في " كوزميل " ، والتحقت بـ " سيز توكر " لمدة ثلاثة أيام عمل ، ثم عادت إلى جزيرة " النمر " بواسطة قارب بخاري .

لم يظهر " جوناثان " أي أثر . وانتهى بها الأمر إلى الاتصال بالمكتب ، حيث أخبرتها " چودي " بأنه في اليونان ، وسيعود في عطلة نهاية الأسبوع .

يوم الجمعة ، طلبها مدير معمل أبحاث المكسيك بالتليفون . كان يحاول السيطرة على انفعاله بصعوبة ، لقد كانت ثلاث قطع من العينات تحتوي على كمية كافية من الخشب تسمح بتحليلها ، وقد دل التحليل على أنها تنتمي إلى العصر ما بين ٥٨٠ ق . م إلى ٦٥٠ ق . م . وأن السفينة لابد أن تكون من عصر قديم جداً ، ولا يمكن أن تكون إسبانية وانحصرت ما بين السكان المحليين أو " الميتايوتامين " .

ما إن وضعت سماعة التليفون ، حتى طلبت مكتب " جوناثان " كي تترك له رسالة . ولم تكن تعرف أنه قد عاد . ولكن " چودي " أخبرتها أنه عمل طوال اليوم ، وأنها ستوصلها به . وبدأت " سارة " تتسائل عما إذا كان يحاول تجنبها؟ ولكن كان من الصعب تصديق ذلك وخاصة عندما تذكرت كيف عرض حياته للخطر كي يحميها .

ولكن بعض الرجال قد يكونون غير مستقرين ويغيرون عواطفهم بسرعة . عندما جاء صوته في السماعة ، عرضت عليه ببرود نتائج المعمل ، ثم أضافت :

- إنني أحس بالحزن لأنك لن تحضر احتفال هذا المساء .

- وأنا كذلك . وسأحضر عندما أستطيع ذلك . أوه ! انتظري ثانية واحدة فهناك من يطلبني في التليفون الآخر .

حاولت "سارة" أن تكبح جماحها ، وعندما عاد مرة ثانية قالت له بتهكم :
"إنه ليس مجبراً أن ينتقل من مكانه إذا لم تكن له رغبة".
صاح فجأة :

- إنني أكاد أتحرق شوقاً لرؤيتك . ألا تعرفين مدى شوقي إليك ؟
ثم أضاف :

"إنه لن يتأخر في الحديث معها بعد ذلك" ثم جاءه اتصال عاجل فقال :
- انتبهي لنفسك يا عزيزتي ، سأحاول أن أحضر في عطلة نهاية الأسبوع .
غمغمت "سارة" في صوت منخفض بأنها مشتاقة إليه أيضاً ، ثم أنهت
المكالمة .

أحست بعدم الراحة ، وبأنها خائفة بعض الشيء ، وكانت تخشى فجأة ألا يلحق
بها .

وفي المساء ضحكت وتفكهت مع الآخرين ، ولكنها منذ أن أصبحت متأكدة من
أن أحداً لا يراقبها ، ولن يلاحظ غيابها توارت عن الأنظار ، وعادت إلى
مقصورتها . كانت منهكة ويكاد رأسها ينفجر . لقد اختفت فرحة الانتصار من
حياتها تماماً .

عندما سمعت طرقةً على بابها ، طلبت من الطارق أن يدخل ، قبل أن يتلصق
قرصي أسبرين .

دلفت "جيل" إلى داخل الحجرة ، وجلست بجوارها على السرير وهي تفكر .
قالت لها :

- إنك لست سعيدة .

زفرت "سارة" زفرة حارة وقالت :

- هذا أمر واضح ، وأرجو ألا يكون ذلك بالنسبة له نفس الشيء .

- أتصدقين ! إنه يعشقك بجنون . وأتوقع أن يطلبك للزواج ، ولا بد أنه ينتظر
فقط عندما تستعدين . وهذا كل ما في الأمر .

- كم أنت لطيفة ...

- لا، ولكنني عملية . لقد تقدمت فجأة خطوات واسعة نحو تحقيق علاقة معه .

والمطلوب بعض الصبر . هيا قومي الآن ، فإن "روسيل" فوق سطح السفينة
الآن . إنه يدعي الغضب لأنه لم توجه إليه الدعوة ، وكأنتنا كنا نعرف أنه موجود
في الجزيرة .

تبعث "سارة" صديقتها ، ولكن فكرها حول "جوناثان" كان يطاردها . إنها
الآن قادرة على أن تحدد اللحظة المناسبة تماماً ، التي وقعت فيها أسيرة حبه :
عندما كان يلقي محاضراته في كلية الدراسات العليا . ويعد أن انتهى من
محاضراته واستعد للرحيل ، كان قد ترك انطباعاً بالقبول لدى الجمهور .

في هذه اللحظة أحست بالهفة والخطر وعدم الأمان ، وحاجتها إلى من يحميها .
وهي - كبقية النساء - لم تقاوم نقطة الضعف فيها .

قدم الشراب في حجرة الصالون إلى "روسيل" الذي هناها . وكان الجميع
حولها يضعون خطة التنقيب في الصيف القادم . وكان الجميع مقتنعين بأنه
سيطبع العلاقات مع "كوبا" في اليوم التالي .

رغم صعوبة الأحوال فقد استأنف الجميع العمل لإعداد التقارير الموجهة إلى
معهد "بورت شارلوت" وإلى البحرية الأمريكية ، وكانت العودة إلى الدراسة
قد اقتربت ، وكانوا يتناولون القهوة في فترة الراحة بعد الظهر عندما ظهر
"جوناثان" .

ساد بينهم صمت تام للحظات ، ثم صاح الجميع وصفقوا ، وتقافزوا حول
رقبتهم :

نهضت "جيل" ورفعت صوتها قائلة :

- مرحباً بعمولنا المفضل ، و "جيمس بوند" البعثة الذي لا يبارى .. شكراً لك
يا "جوناثان" .

- الشكر للجميع .

وجه "جوناثان" ابتسامة شاردة ، ثم التفت إلى "سارة" وقال :

- هل يمكنني أن أتحدث معك على انفراد ؟ هناك أمر لا بد من تسويته ، ويجب
أن أحيطك به علماً .

تبعته "سارة" ، وقلبها يدق بعنف ، ولم يكن ذلك الأمر هو الذي يشغل باله فقط .

إذ كان الإرهاق الشديد بادياً عليه . وما إن أصبحا بمفردهما ، حتى أخذته بين
نراعيها وقبلته .

ولكن لم تكن هناك أية حرارة في رد فعله ، وإنما فقط الحلاوة والنعومة .
فابتعدت عنه .

- إذا لم تعد تريد أن تراني ، فليس أمامك إلا أن تقول ذلك ، وأنا أستطيع أن
أشفي من ذلك .

جاءها الرد همسا في أذنها :

- لست أنا الذي أريد ..

جذبها إليه ، وأجبرها أن تضع رأسها على كتفه ، ثم استمر في الحديث :

- لقد مررت بأسبوعين رهيبين ، ولم أكن أريد أن أشركك في الأمر ، ولكنني في
حاجة إلى وجودك ، حتى وإن لم تقولي كلمة واحدة .

- تشركني في ماذا ؟

بدا جاداً للدرجة أفزعتهما ، وكأن العالم سينهار فوق رأسه ، ويذهب به إلى
المجهول .

- إن ابن عمي متورط في عملية تهريب التحف العالمية ، ولم أكن متأكداً من ذلك
حتى مساء أمس ، ثم علمت أنه وصل إلى الجزيرة .

توقفت لحظة وأكمل :

- ففي لحظة ما ، وجدت نفسي أحس ببعض الخلاص عندما اكتشفت أن
بإمكاني ألا أواجهه بمفردي .. هل تأتيين معي ؟

لم تلق "سارة" أية أسئلة ، وأمسكت بخصره وجرته معها . فأحس "جوناثان"
من حركتها أنها ستقف بجانبه ، وهذا ما أشعل عاطفته .

وجد "روسيل" في منزله الخاص ، يعمل على ملء أوراق عديدة . ابتسم
عندما رأها ، ومد يده إلى "جوناثان" ، ولكن الأخير تجاهلها ، وجلس فوق

مقعد ذي مساند .

لم يسبق لـ "سارة" أن رآته على هذه الدرجة من الغضب . جلست بجواره
وأمسكت يده . قال "جوناثان" عندما أغلق "روسيل" الباب :

- لقد أحببتك مثل أخي . وقد غفرت لك ، أشياء عديدة ، ولكن بسببك كانت
المرأة التي أحبها تلقى مصرعها ، وهو ما لن أغفره لك إطلاقاً وأحياناً تتملكني
الرغبة أن أراك تتعفن في أحد سجون المكسيك ولكن هذا الأمر يجب ألا يقع
في عائلتنا .

ونظر بعيداً ، وقد لمعت الدموع في عينيه .

- ثم هناك طفولتنا . يا إلهي .. يا "روسيل" .. كيف أمكنك أن تتورط في هذه
القصة ؟

بدا "روسيل" مذهولاً تماماً وقال :

- ولكنني لا أعرف عم تتكلم ..

- كفى ..

وضع "جوناثان" يده في جيبه ، وأخذ يبحث عن شيء ، أو لعله كان يحاول
أن يمنع نفسه من الهجوم عليه .

- إنك تخسر مبالغ فلكية على موائد القمار في "مونت كارلو" ، وتتفق أموالاً
طائلة على شراء الجواهر ، أكثر مما يسمح بها ذلك . لقد افتتحت ورشا

صناعات يدوية في اليونان وفي العالم أجمع ، بدعوى البيع للسياح ، وهو
غطاء ممتاز . والحقيقة أنك تبيع التحف المهربة وسط المصنوعات اليدوية

للمليونيرات ، فهم على استعداد لدفع مبالغ طائلة وكان حضور "سارة"
وفريقها سيسبب لك الإزعاج . إذا اكتشفوا موقعاً أثرياً فسيكون ذلك عبئاً على

ظهرك لسنوات عدة . وعليه قمت بتنظيم عملية تخريب ، يعاونك فيها الرجال
الذين فرضتهم على "سارة" ، وأرسلت ذلك البحار الكاذب إلى "كوبا" كي

يعترف بحكايات جاسوسية وهمية . ليس أمامك الآن أية فرصة يا "روسيل" ،
إذا قلت إننا كنا في مأمن ، لأنك كنت تعلم أننا سننقضي الصيف في "كوبا"

وتتخلص منا .

مز "روسيل" كتفيه وتوجه إلى البار كي يصب لنفسه كأساً دون أن ينطق
بكلمة .

- أطلبك بأن تنهي عملية التهريب هذه في الحال ، واعلم أن على شركائك

وعليك أيضاً ترتيب عملية تصفية فنادق "هيلي" ونواديه . وفي المستقبل ستظل خارج العمليات المالية العائلية .

ابتلع " روسيل" الشراب ، ولم يعبر وجهه عن أي انفعال . ثم ضحك ضحكة مفتعلة وقال :

- برافو يا " سارة " . لقد اعتقدت أنك حتى لو اكتشفت شيئاً بالقرب من سواحل "كوبا" فستستمرين في العمل على سجنني ، لأن الكوبيين لم يكونوا ليسمحوا بإقامة قاعدة في أرضهم ، وليس لدي شيء ضدك . أرجو أن تعلمي هذا . ولم أفكر لحظة في إمكان وقوع ما حدث ، إلى أن حدثت واقعة غرفة الضغط . لم يكن لي أبداً دخل بما حدث .

قال "جوناثان" بلهجة لاذعة :

- إن أسفك يصل إلى صميم قلبي ، وسأعود غدا كي تطلعني على تفاصيل مغامراتك ، وأريد الأسماء يا " روسيل" وكافة التفاصيل .

ثم أمسك بذراع " سارة" وقال :

- هيا بنا نذهب .

أخذ رأس " سارة" يدور وهما يبتعدان في اتجاه الرصيف ، وقالت وهي تتلثم :

- هل تعتقد يا "جوناثان" أن ذلك البحار " إميليو أورتيغز" ...

- "أورتيغز" و "فيرجاس" ، وحتى الطاهية والآخرين من المحتمل أنهم مجموعة من الأقارب المتورطين في الأمر . لو كنت بمفردي لما استطعت مواجهة الأمر ، وغدا سيكون الوضع على ما يرام .

حاولت " سارة" أن تكتم الأسئلة التي كانت تطارد عقلها لمعرفة كيفية كشفه تلك المعلومات حول مؤامرة " روسيل" ، واكتفت بالسير بجانبه . ما إن انفردا ببعضهما في مقصورتها ، حتى تمددا فوق السرير وهي ملتصقة به .

- يا عزيزي .. إنه لم يكن يتخيل أن أحداً قد يصاب ، وهو أمر ليس رهيباً مثل تهريب المخدرات مثلاً .

ولكن انتظر .. أعتقد أنني بدأت أفهم .. إنك لم تحاول الاتصال بي من أجل

ذلك الموضوع ؟

- نعم . لقد كنت أخشى أن تنشري هذه القصة ، وأن تتسببي في فضيحة . لم أستطع أن أستقر على تقديم " روسيل" للعدالة . ولقد فكرت أيضاً أن أخفي عنك هذا الموضوع ولكن فكرة أن نعيش معا وبيننا تلك الكذبة كانت أمراً مستحيلاً .

أحست " سارة" فجأة وكأن عبناً ثقيلاً قد انزاح عن صدرها .

- طوال مدة زواجي كلها لم يحاول " هومير" أن يفصح لي عن موضوع له هذه الأهمية . لن أتمكن يا "جوناثان" أن أوفيك حقلك من الشكر طوال حياتي على كل ما أنجزته في هذه البعثة . لقد ساندتني ، ومنعتني من ارتكاب أخطاء قاتلة .

وعلمتني الحب . يا له من صيف رائع .

ابتسم وهو يقول :

- هل هذه دعوة ؟

- ما دمت تقول هذا فهي غير مستحيلة .

تعانقا ، وحلت الرقة والحنان محل الرغبة ، ارتاح كل منهما بين ذراعي الآخر لمدة طويلة ، وهمست " سارة" في أذنه بصوت رقيق :

- أتدري أنني أحبك ؟

- أعلم ، ويمكنك أن تردي ذلك كلما عنك هذا ..

أخذ يداعب خصلة من شعرها وقال :

- إنني لم أكن أفكر في الأسبوعين الماضيين في " روسيل" فقط ، وإنما فكرت في حالنا أيضاً .

- وبعد ؟

- لقد تحدثت مع رجال جامعة " كولومبيا" وهي الجامعة الوحيدة في "نيويورك" التي بهامكان شاعر في تخصصك .

مازحته " سارة" قائلة :

- لطيف منك أن استعلمت . وماذا أيضاً ؟

- حسناً إذن .. لقد حجزت في منطقة " تافيرن أون ذي جرين" من أجل

زواجنا .

- مستحيل ، ما أعلمه أن الحجز يجب أن يتم قبل سنة من موعد الزواج .

- ولكنني حصلت على حجز في شهر نوفمبر .

- إنك تكذب !

اعترف ، وهو يضحك وقال :

- نعم .. ولكن كان باستطاعتي الحصول على ما أريد ولكنني قدرت أن نكون

عاشقين صبيحة يوم لقائنا .

جلست سارة وهي توجه له نظرة حادة :

- إذن لقد لعبت بي . كل هذا الحديث لا يهيك فيه إلا القليل فقط وهو :

نكون صديقين أم عاشقين ؟

- هل هذا لغز ؟ لقد وقعت في حبك في اللحظة التي وقع فيها بصري عليك .

ولكن بوافعي كانت نبيلة .

أجبرها على الرقاد وقال :

- هناك مسألة أخرى لابد من تسويتها يا دكتورة "بايرز" . إذا أردت أن

تذهبي إلى "كوبا" الصيف القادم ، فأنت في حاجة إلي ، وخدماتي ثمنها غال .

- قم بهذه الخدمات بسرعة يا "جوناثان هيلي" ، فليس لدي وقت طويل

أكرسه ..

- حسناً . سنتنقلين إلى "نيويورك" وتقبلين وظيفة في جامعة "كولومبيا" .

وتتزوجينني .

اعتبرت سارة ذلك ثمناً معقولاً تدفعه كي تعيش في السعادة حتى نهاية العمر .

01